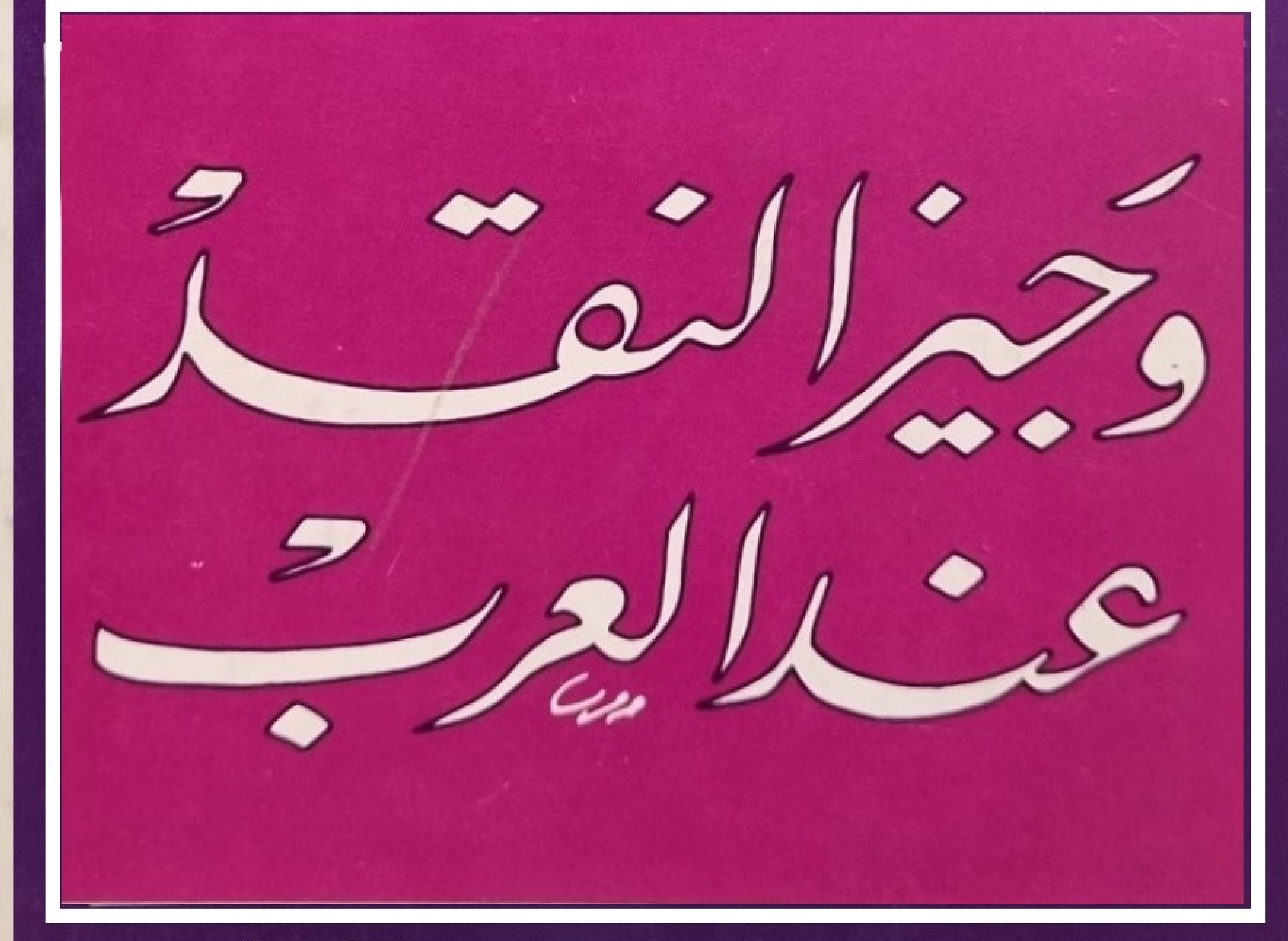


الكتاب العربي السعودي



عبدالله عبدالوهاب العباسي



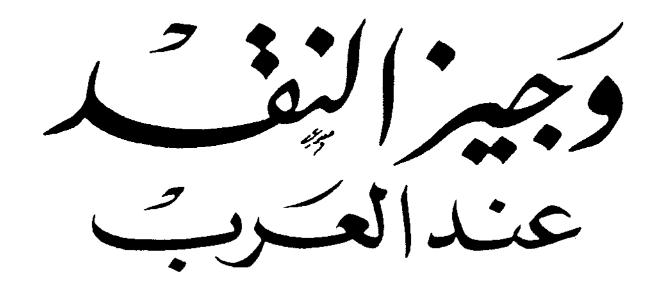
وجيز النقد عند العرب

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م
جدة - المملكة العربية السعودية



الكتاب العربي السعودي [١١١]

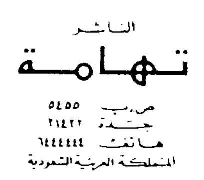
عبدالله عبدالوهاب العباسي



وجيز النقد عند العرب

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م
جدة - المملكة العربية السعودية




الناشر
تهامة
ص.ب ٥٤٥٥
جدة ٢١٤٢٢
هاتف ٦٤٤٤٤٤٤
المملكة العربية السعودية





الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م)


وجيز النقد
عند العرب

مقدمة

أردت من هذا الوجيز عن النقد والنقاد عند العرب أن أبين تلك القدرات وذلك الفهم والإدراك اللذان استطاعوا الوصول إليه في الأ زمنة الغابرة برغم أن الامكانات المادية وغير المادية لم تكن تساعدهم على تحقيق أغراضهم ومع ذلك ثابروا وجاهدوا جهاداً مراً حتى استطاعوا فعلاً أن يعطونا تلك الصفحات المشرقة والتي أضاءت سبل حياة الفكر في أزمنتهم وأزمنتنا على السواء .

لقد خلفوا لنا تراثا هائلا ، الاعتزاز به أقل واجباتنا والعمل على كشف مكنونه أهم ما يمكن أن نقوم به .

لقد كانت أعمالهم الفكرية والأدبية منائر على دروب الحضارة والتقدم لا للشعوب العربية والإسلامية فقط ولكن لكل شعوب الأ رض تدعوهم إلى المزيد من التقدم وتحثهم على مزيد من الوعي والإدراك .

ونحن بهذه نريد تعميق مفاهيمنا بما قالوه ، فمعرفة الماضي ضرورة لفهم الحاضر والمستقبل ودون ذلك نصبح كمن يبني في الهواء مهما اقتبسنا ومهما استوردنا من مفاهيم حديثة .

المؤلف



وجيز النقد عند العرب

العصر الجاهلي:

مولد النقد:

مع كل عمل فني يولد النقد، فالنقد بهذا المعنى مواكب للعمل الفني. ولدى كل الشعوب التي أنتجت أدبا أو فنا ولد نقاد ومارسوا النقد. ومنذ أن قال الإنسان الشعر جاء النقد. و بطبيعة الحال كان لكل عصر منهجه وكان لكل ناقد أسلوبه، لأن النقد عمل فني أيضاً فنحن نجد الذين مارسوه كانوا إما شعراء أو كتاباً أو فنانين في مختلف مجالات الفنون الأخرى ولا يعني هذا أن هناك من غير هؤلاء من لم يمارس النقد بل مارسوه ولكن لا على أساس تحمل نتائج نقدهم وإنما على أساس الاستحسان أو الاستقباح..

الذين مارسوا النقد:

و يعدد لنا التاريخ أسماء عديدة مارست النقد في العصر الجاهلي منهم:

١ ــ ربيعة بن حزار الأسدي.
٢ ــ أم جندب ــ زوج امرىء القيس.
٣ ــ النابغة الذبياني.
٤ ــ طرفة بن العبد.

ووجد غير هؤلاء ممن مارسوا نقد الشعر في العصر الجاهلي، ولكننا سنكتفي بتقصى مناهج هؤلاء فقط ونوضح آراءهم في ذلك.. ولا يعني هذا تفضيلا لهؤلاء عن أولئك ولكن لتقارب المناهج من بعضها بحكم العصر والبيئة والنظرة ووحدة الثقافة؛ غير أن هذا لن يحد كثيرا من معرفة منهجهم في النقد إذ يكفي أن نجد نموذجا واحدا لنستطيع أن نستدل منه على باقي أعمالهم وحتى الآن ليس من المعروف جيدا من هم أولئك الذين قوموا المعلقات وأغلب الظن أنهم مجموعة من النقاد كما يحلو لنا

أن نسميهم الآن اختيروا اختيارا من جمهرة أكبر ليختاروا تلك المعلقات بعد أن فحصوها وأغلب الظن أن أشعارا أخرى كان قد أريد لها أن تكون من ضمن المعلقات ولكنها استبعدت .. وكان يهمنا أن نعرف أسباب استبعادها لأن ذلك سيعكس لنا منهجا نقديا موحدا لمجموعة من النقاد اتفقوا عليه ..

وإذا كانت المعلقات ذاتها قد عكست لنا اختيارهم الجيد، فإنه كان من أسباب السعادة أن نعرف ماذا كان يعني الرديء في تصورهم ..

سوق عكاظ :

على كل حال، لقد كان سوق عكاظ سوق النقد العلني المفتوح. وكان النابغة أمير ذلك السوق ولأن العرب كانت تقدر **أشعارها** تقديرا جيدا أسمت منتدى عكاظ سوقا، ولكنه سوق خاص بالشعر وفيه يعطى لكل شعر مقداره ولكل شاعر قدره وهناك كانت تجلب الأشعار كما تجلب البضائع النفيسة إلى أسواقها وهناك كان كل شاعر يعرض بضاعته، فإما أنها استحسنت وإما أنهم ردوا شعره ردا ولهذا ضربوا للنابغة فيه الأدم ..

وحدة الثقافة :

فالمرء يستطيع أن يقول إن العصر الجاهلي كان عصرا موحد الثقافة وإن وفود ثقافة أو جلبها من خارج جزيرة العرب ليس بالأمر الواضح وفوق ذلك فلقد كانت اللغة وإلمامهم بها إلماما واسعا رغم تشعبها وكثرة مفرداتها **دليلا** على وحدة ثقافتهم وتشابه آرائهم إلى حد كبير.. وحيث أن اللغة كانت المادة التي صاغوا آدابهم منها جميعا فإنهم عالجوا نقد الجوهر بأسلوب يكاد يكون واحدا أما الشكل فإن أغلبهم لم يهتموا به كما لو أن الأمر مفروغ منه بمعنى أننا نجدهم لم يتعرضوا لموسيقى الشعر إلا لماما في نقدهم وكأنهم متفقون على تلك الأنغام اتفاقا. وهذا ما يؤكد أن الشعر كان يصب في ألحان أو أن الألحان كانت تكسي بالشعر كما هو الحال لدى بعض العرب في جنوب الجزيرة حتى اليوم حيث نجدهم إذا أرادوا عمل أغنية أوجدوا اللحن أولا ثم كسوه شعرا وكأن اللحن هو الضابط للشعر ولهذا تتأكد غنائية الشعر العربي.

مفهوم النقد الجاهلي:

والنقد في العصر الجاهلي كما سنرى لم يكن يختلف كثيرا عن أسلوب النقد أو أساليب النقد الحديث وإن كان أقل إسهابا وأكثر إيجازاً لكنه بذلك الإيجاز المتناهي في بعض الأحيان يقول كل شيء يبسط منهجا و يوضح أسلوب الناقد ونظرته وثقافته ومعرفته إلخ . . .

و بالرغم من أن النقاد في العصر الجاهلي قد انتقدوا كثيرا من الأعمال الشعرية في عصرهم غير أن التاريخ لم يتعطف علينا إلا بقليل حتى الآن من تلك الأعمال وهذا يعود إلى عدم اهتمامنا الجدي بالتنقيب عن التراث الذي خلفوه لنا سواء في شكل كتابات على الألواح وغيرها أو نقوش على الحجارة أو الزبور كما هو الاسم الحقيقي لها وإلا أين تلك المجلة التي قال عنها أبوعبيدة التالي: «وجد كتاب يقال له **المجلة فإذا به مكتوب فيه** ألا إن أشعر العرب أبوذؤيب، وما أنت وأبوذؤيب **بنعمان** «السحاب»»أي إن كاتب الكتاب كان يمدح أباذؤيب فوصفه كجبل النعمان بقرب عرفة وقرنه بالسحاب، باعتبار أن السحاب يركد فوقه لعلوه وسمى نعمان السحاب لذلك ولأنه يتنعم بالسحاب والذين يعرفون جبل النعمان اليوم يدركون ذلك أيضا . .

إن هذه المجلة أو ذلك الكتاب المسمى بالمجلة **كان كما** يبدو يحتوي على أقوال **في الشعر والشعراء في العصر الجاهلي**، وإن كاتبه انحاز لأبي ذؤيب، وأبوذؤيب هذا هو الذي قال عنه حسان بن ثابت أشعر **هذيل**، وقال عنه عمر بن معاذ العمري إنه قرأ في التوارة مكتوب أن أبا ذؤيب مؤلف زورا وان اسمه ورد بالسريانية (العمدة لابن رشيق) وكأن أباذؤيب قد أساء إلى اليهود لا علينا . . إن تراثا ضخما مازال مفقودا، وهذه حقيقة لابد أن نقر بها فمن مجموع أربعين ديوانا لقبائل مختلفة لم يصلنا إلا ديوان هذيل. وحين نعود إلى الوراء قليلا لنتحسس معنى لفظة سوق في أذهان وأفكار وعواطف أولئك الناس سنجد أنها أكبر بكثير مما تعني في أذهاننا وعواطفنا اليوم وأعمق أيضا بكثير.. فالأسواق عند العرب كانت تعنى استمرار الحياة واتصالها وكانت تعني الدليل المادي على تلك الحياة..

إن اختيار لفظة سوق يؤكد أنهم كانوا يدركون الأهمية الإنسانية للشعر و يقدرونه حق قدره، إنها أكبر من منتدى أدبي كما قد يفهم منها اليوم . .

والجاهلية حياة طويلة عريضة ترجع إلى أكثر من ألف عام قبل الميلاد وربما أكثر من ذلك،والشعر الذي وصلنا من الجاهلية هو شعر أولئك الشعراء الذين وجدوا قبل الإسلام بمئات الأعوام فقط أما من قبلهم فلم يصل منه شيء حقيقي حتى الآن اللهم إلا ما روي عن أشعار عاد وثمود وهذه فيها أقوال. والنقاد الذين نعرف عنهم هم أولئك الذين وجدوا في هذه الفترة الأخيرة فقط لا قبل ذلك..

وقد قيل إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر بكثير مما تكلمت به من جيد الموزون لكن المنثور لم يحفظ منه عشره. والنقد أحد فنون النثر فهو أيضا مما ضاع ولم يحفظ ولا أقل من عشره أيضا خاصة النقد الجاهلي. وكانت العرب تحتكم في الشعر وكان النقاد هم الحكام بل أكثر من هذا كانوا يطلقون على النقد القضاء فيقولون أقضى لفلان على فلان أو أقضى بين فلان وفلان الشاعر،وهم حين يلجأون في مثل هذه المطالب يلجأون إلى من يدركون أنهم الأقدر والأجدر بأن يصدروا حكما في هذاالخصوص. و بالمقارنة بين كمية الأحكام النقدية التي صدرت في العصر الجاهلي وفي فجر الإسلام نستطيع أن نقول إن كثرة ما قضى للشعر في فجر الإسلام تؤكد كثرة ما قضي للشعر في الجاهلية، لكن ما قضى به للشعر في الإسلام سجل أودون بينما اندثر معظم ما قضي به للشعر في الجاهلية لعدم التدوين أو لعدم العثور على ذلك التدوين، وإذا أخذنا في الاعتبار انشغال الناس في الإسلام بالفتوحات والدعوة فإننا سنجد أن الاهتمام في العصر الجاهلي بالشعر هو أكثر بكثير منه في الإسلام بحكم عدم وجود ذلك الانشغال. وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن تلك الفترة: «الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه»، إذاً كان الشعر علمهم الذي ليس لهم علم يفوقه، ولم يكن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يطلق لفظة علم عبثاً.. إن إدراكه لذلك الانشغال بالشعر الذي كانت العرب فيه جعله رضي الله عنه يسأل كعب الأحبار رواية عن أبي عبدالرحمن محمد بن الحسين قائلا: يا كعب هل تجد للشعر ذكرا في التوراة؟ قال كعب: أجد ذلك لا يعلمه إلا العرب.

ولا جدال أن العرب كانوا أكثر شعوب الأرض قاطبة انشغالا بالشعر و يدلنا على هذا كمية الشعر التي خلفها العرب رغم ضياع كثيره،وكمية الشعر التي خلفتها الشعوب الأخرى وانشغال العرب كان يشمل فيما يشمل قول الشعر وتمثيله كما

فعلت بعض الشعوب الأخرى .. وانشغال العرب في الجاهلية بالشعر كان طبيعيا إذ ليس لهم علم غيره وهو ديوانهم وكعب الأحبار حين رد برده ذلك على عمر رضي الله عنه إنما لعلمه بأن العرب كان يشغلهم الشعر هذا فضلا عن تأكيده بأن التوراة بها ذلك .. وأيا كان الأمر فإن ذلك الانشغال كان يدل على سلوك حضاري افتقدته شعوب كثيرة في ذلك التاريخ .

والانشغال بالشعر كان يعني فيما يعني نقد الشعر بتدارسه وتقويمه إلى جانب روايته ثم تدو ينه أو حفظه والتحدث به .. ونحن يهمنا من كل هذا وغيره النقد ..

جلسات النقد :

ومن الواضح أن النقد للشعر كان يتم في جلسات تعقد ويحضرها في أغلب الأحوال كبار القوم والشعراء أنفسهم وكل أولئك الذين يحبون الشعر .. ويمكننا تصور تلك الجلسات التي تشبه إلى حد كبير جلسات القضاء لكنها قضاء شعر وقضايا أطرافها الشعراء والنقاد مباشرة وقد يتدخل ما بينهم مؤيدون للشاعر ومؤيدون للناقد .. واضح أيضا أن النقد كان يقصد إليه كما هو حالنا اليوم في الأغلب الأعم فالذي يريد أن ينقد كتابه يبعثه إلى الناقد أو إلى الصحيفة التي تنقد الأعمال الأدبية وذلك لأن النقد إلى جانب كونه تقويما للعمل الأدبي هو نوع أيضا من الدعاية للترو يج لذلك العمل ولصاحبه وفي ذلك الزمن كان يذهب الشعراء إلى مجالس النقد و يعرضون شعرهم .

وإذا كان الأمر لا غرابة فيه وكان حادثا بالأمس كما هو حادث اليوم ، فإن فيه دلالة أكيدة على أن كمية الأعمال الشعرية التي تعرضت للنقد في تلك الحقبة من الزمن لا بأس بها وان رواج كثير من تلك الأشعار كان بسبب تلك الجلسات النقدية اكثر منها هو بسبب الرواة فالرواة يأتون بعد نيل العمل على القدر المبجل الذي يناله لا قبله أي بعد الاقرار بنبوغ الشاعر من الجميع وعلى رأسهم النقاد .

وقول الشاعر في تلك الجلسات كان يتم بإحدى طريقتين : الإلقاء المباشر ملحنا وهذه جلسات الطرب وهي جلسات لا تخلو في بعض الأحيان من النقد كأن يكتشف عيب من العيوب (الإقواء أو الإكفاء) كما حدث ذلك للنابغة في قصيدته ..

أمـن آل ميـــة رائـــح أو مغـتـدى　　عـجـــلان ذا زاد وغـــير مــزود
زعـم الـبـــوارح أن رحـلـتـنـا غــدا　　و بـذاك خبرنـــا الـغـراب الأســـود

وفي هذين البيتين إقواء، وهو اختلاف حركة الروي الكسر في القافية الأولى والضم في الثانية، ولكي يوضحوا للنابغة ذلك الإقواء اسمعوه غناءاً في هذين البيتين ففطن..

والملاحظ أن النابغة ما كان ليخطىء هذا الخطأ الفاحش لو أنه كان يشكل حركة الروي لكنه يبدو أنه كان يسكن فقط.

ونستدل من هذه الرواية أن الغناء كان في تلك الحقبة يتخذ من التشكيل اللغوي وسيلة لحنية بحيث ان الغناء كان يبرز تلك الأخطاء أو العيوب الشعرية باستخدام حركات اللغة وهى الاعراب، هذا فضلا عن القول بان الغناء كان مقتصرا على الشعر الفصيح.

أسباب التفاضل عند النقاد:

يقول القاضي الجرجاني متحدثا عن عرب الجاهلية بأنهم «كانوا يفاضلون بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وبسلم السبق فيه لمن وصف وشبه فقارب فأغزر ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن العرب تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض»(١).

و بالرغم من أن هناك تناقضا بين ما جاء في أول هذا القول وآخره إلا أنه من الملاحظ أن الجرجاني كان يريد أن يقول بأن العرب لم تحفل بالبديع لأنه كان يأتي د ون كلفة أو تصنع إذ أن ذلك يتمشى مع ما جاء في أول القول لمن وصف فأصاب أو شبه فقارب وفي الوصف والتشبيه يأتي البديع.

من خلال هذا يمكن أن نلم بما ذهب إليه النقاد في الجاهلية وهو الاهتمام بالشكل والمضمون معا، هذا ما قصد إليه القاضي الجرجاني.. والعرب المقصودون في قول الجرجاني هم النقاد والشعراء ومحبو الشعر الذين يتذوقونه، ولما كان هؤلاء أكثر

---

(١) الجرجاني ــ ٣٣.

مما هم عليه الآن فإن إطلاق لفظة العرب كانت الغالبية العظمى بحكم أن الشعر كان شاغلهم .

المفاضلة في الجودة:

كان النقاد يفاضلون في الجودة وهذه حقيقة والمفاضلة تأتي عن طريق المقارنة ، فالمقارنة إذاً كانت إحدى أساليب البحث عندهم أو هى منهج معروف يستخدم حين النقد . ولكن المقارنة هنا يقصد بها مقارنة الجودة المقارنة الجمالية والتركيب العضوي للقصيدة ، وهذا هو ما قصدوه من قولهم جزالة اللفظ واستقامته . .

و بالرغم من أننا نجد أنهم لا يضعون تعريفا للجودة التي قصدوها ، لكننا نستطيع أن نتلمس ذلك من قول بعض الحذاق لابن رشيق « ليس للجودة في الشعر صفة إنما هى شيء يقع في النفس عند المميز كالملاحة في الوجه »(١) .

فالجودة إذاً هى الأخذ والاستيلاء أو الأسر الذي تفرضه القصيدة على المتذوق وتأخذه أو هى الملاحة التي لا يمكن مقاومتها . .

ومن هنا كان للاستهلال ذلك السحر العظيم الذي تفتتح به القصيدة ، وكان له ذلك القدر المبجل عند كل الشعراء والنقاد والمتذوقين . وأصبح التسابق في ميدان لا يجيد فيه إلا كل من تمكن من الشعر الاستهلال يأخذ أو يأسر . وقد نسب إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه مدح استهلال امرىء القيس (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)(٢) .

فالمقارنة إذا كانت منهجا من مناهج النقد عند العرب في الجاهلية ، وفي غير الجاهلية لكن منهج المقارنة يتطلب منهجا ضمنيا للناقد يتطلب منهجا يوضح ما هو الهدف الذي يسعى إليه الناقد من مقارنته ولكن قبل أن ندخل في هذا الموضوع يلزمنا القول ان المقارنة لم تكن بالضرورة تعني أن يقارن شاعر بشاعر أو شعر بشعر وإنما تعنى ما استقر في الأذهان من جودة وحسن جزالة ألفاظ مما كان بسبب أشعار سابقة استحسنها الناقد وعرف أسرار صناعتها دون أن يجبر نفسه على ذكر قائلها أو ذكرها . فهي مقارنة تتم ضمن معارف الناقد ذاته ، وأحكامه ونعوته فقط هى التي كان يطرحها

(١) العمدة لابن رشيق : ١١٩ .

(٢) العمدة لابن رشيق : ١ ــ ٢١٨ .

الناقد في العصر الجاهلي .

مرتبة النقد :

يجب أن نسلم منذ البداية بأن النقد الأدبي في العصر الجاهلي كان نقداً وندا للأعمال الشعرية العظيمة التي نعرفها جميعا فالعمل الأدبي أو الفني وما وصل إليه من نضج يتطلب بالضرورة أن يواكبه نقد متطور قادر على تلمس العيوب التي قد تلحق بشعر متطور كشعر العصر الجاهلي وليس من المعقول أن نصطدم بأعمال نقدية متخلفةإذ ليس هذا من منطق الأشياء .

لكن إذا علمنا أن العرب كانت مغرمة بالإيجاز وأن إيجازها من جهة أخرى حتمته الضرورة التي تتطلب في النثر تسهيل حفظه لأن تدو ينه في كثير من الأحيان كان مستحيلا . إذا علمنا هذا اتضح لنا لماذا اتجهوا إلى الإيجاز في أحكامهم . ثم اتجهوا إلى استخدام السجع وتضمينه الحكم،ذلك أن السجع لما له من وقع جرس يسهل حفظه وروايته . وكلما كان أوقع انتشر وكثر رواته . .

ولقد أدى السجع مهمة كبيرة للخطباء وللحكام وللنقد في العصر الجاهلي قيل لعبدالصمد الفضل الرقاشي لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن قال لو أن كلامي لا أَمل فيه إلا الاسماع لقل خلافي عليك ولكن أعني بالغائب والحاضر والراهن والغابر فالحفظ إليه أيسر والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد و بقلة التفلت(١) .

ونفس هذه المقاصد كانت في الجاهلية إذ أدى السجع مهمة اقتربت من التدو ين لسهولة حفظه وروايته .

وصف أعرابي رجلا فقال : «صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر . . عظيم الكبر كثير الفخر»(٢) .

لقد هجاه هجاءً مرا ولو أنه نثر كلامه فيه لأضاع ذلك الكلام . ولقد ساعد السجع على إثراء اللغة كما كان الطريق للرجز في الشعر، وزعم الرواة أن الشعر كله كان رجزا وأنه إنما قصد في عهد هاشم بن عبدمناف(٣) .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١ــ ٢٨٧ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١ــ ٢٨٤ .

(٣) العمدة لابن رشيق : ١ــ ١٩٨ .

لقد سجعت العرب في البداية ولم تقل الشعر إلا بعد أن مهد السجع القوافي، وزاد من المفردات وسهل الوزن وروض الذاكرة على الحفظ، وأصبحت العرب تتناقل أخبارها بواسطته حتى تراجع ليحل محله الشعر في عصور لاحقة لكنه في العصور القديمة ظل ندا للشعر يواكبه وظل مجال الخطابة والأحكام القضائية والحكم على الشعر مجاله الذي انفرد به.

دور السجع:

قلنا إن السجع في الجاهلية اختص فيما اختص بالأحكام النقدية وها نحن نورد طائفة من تلك الأحكام ذكر شعر النابغة الجعدي لأحد النقاد قال فيه مطرف بآلاف وضمار بواف..

وقيل لأعرابي من أشعر الناس؟ قال الذي إذا قال أسرع وإذا أسرع أبدع وإذا تكلم أسمع وإذا مدح رفع وإذا هجا وضع..

وقال آخر من أكرهك على سماع هجو ذويك ومدح أعاديك.. وقال آخر الشاعر من أعطى القياد و بلغ المراد.. وقال أحد نقاد شعر عدي بن زيد اسهيل كالنجوم يعارضها ولا يجري معها.. وعدى بن زيد هو القائل:

أرواح مودع أم بكور ... لك فأعمد لأي حال تصير

وقال:

أيها الشامت المعير بالدهر ... أأنت المبرأ الموفور؟!

أم لديك العهد الوثيق من الأيام ... أم أنت جاهل مغرور؟!

وله رائعة أخرى مطلعها:

أتعرف رسم الدار من أم معبد ... نعم فرماك الشوق قبل التجلد

وقد نسبوا النقد السابق لعمر بن العلاء ونسبوه لأبي عبيده والأصمعي والأصح أنه لناقد جاهلي إذ لو كان لأحد هؤلاء لورد في أقوالهم المدونة.. واستمر السجع متضمنا أحكاما نقدية للشعر الجاهلي حتى في فجر الاسلام.. فأبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: عن النابغة الذبياني هو أحسنهم وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عن امرىء القيس أحسنهم نادرة وأسبقهم

بادرة ولم يقل لرغبة أو رهبة وهكذا لو تتبعنا تلك الأقوال لملئت منها صحائف . . . ولكن المؤسف أن أغلب الأقوال لم تنسب إلى قائليها بالاسم وإنما وردت على أنها من أقوال العرب . . وكثرة تلك الأقوال تدل على أن القائلين كثيرون ومعنى هذا أن نقادا متعددين مارسوا النقد في العصر الجاهلي .

ومع أن هذه الأقوال تفتح بابا كبيرا يمكن أن نرى من خلاله عالما متكاملا لآراء ومناهج أولئك النقاد إلا أن هذا تنقصه معرفة القائلين لتتبع مناهجهم فردا فردا .

لقد لعب السجع دورا كبيرا في حياة العرب وتطرق إلى كافة جوانب الحياة فيه مارس العرب الخطابة وأصدروا أحكامهم القضائية ونقدوا الشعر وسجلوا التاريخ .

روى أن ضمرة بن ضمرة دخل على النعمان بن المنذر فقال النعمان تسمع بالمعيدي خيراً من أن تراه فقال ضمرة أبيت اللعن إن الرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان وإنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه إن صال صال بجنان وإن قال قال ببيان(١) .

وهكذا نجد ما لا حصر له من أقوال السابقين في الخطابة وفي الرد ، وفي القضاء وفي التاريخ وفي الأنساب ، على أن ما يهمنا هو موضوع البحث وهو النقد ولهذا فنبدأ بربيعة ابن حذار الأسدي .

ربيعة بن حذار الأسدي :

من هو ربيعة ؟

كان « ربيعة بن حذار الأسدي » حكما في بني أسد بن خزيمة وقاضيا من قضاة العرب في الجاهلية كما كان ناقدا من نقاد الشعر وهو من بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر أي من المضريين وربيعة كان أحد حكام العرب الذين يحكمون و ينفرون بالسجع مثله مثل كثير من حكام وقضاة العرب في الجاهلية الذين استخدموا السجع في قضائهم وأحكامهم ومنهم هرم بن قطبة والأقرع بن حابس ونفيل بن عبدالعزي واكثم بن صيفي وعامر بن الظرب ولبيد بن ربيعة الشاعر(٢) .

---

(١) البيان للجاحظ ١ ـــ ١٧١ .

(٢) البيان ١ ـــ ٢٩٠ ، ٣٦٥ .

ولقد كان « ربيعة » أحد النقاد المشهورين من ذوي الرأي في الشعر. والشعراء كانوا يقدرون رأيه تقديرا كبيرا بل يخشونه كما يبدو فيما يبديه من رأي قد يحط من قدر الشاعر وقد يرفعه و« ربيعة » قصده الشعراء لمثل ذلك و بطبيعة الحال كان الذين يفدون إليه أولئك الذين قد تمكنوا من الشعر فعلا ودانت لهم القوافي .

إن « ربيعة » هو الذي قال فيه الأعشى :

وإذا طلبت المجد أين محله ... فأعمد لبيت ربيعة بن حذار

« فربيعة بن حذار » كان قصدا للمجد يقصده الراغبون في ذلك ولا شك أن « ربيعة » إذا قصده الشعراء لم يكونوا يقصدونه للهبات والعطايا ولكنهم كانوا يقصدونه ليقول رأيه في أشعارهم و بلا جدال ، ان الشاعر الذي يحظى برأي في صالحه من « ربيعة » يكون بذلك قد حقق من المجد ما يصبو إليه والأعشى حين قال بيته ذلك يؤكد لنا أيضا أن « ربيعة » قد عاش في عصره وأن الأعشى عاش في عصر « ربيعة » وهذا البيت إلى جانب ما احتواه من معان أعطى تاريخا أو زمنا يمكن من خلاله معرفة الفترة التي عاش فيها « ربيعة » .

زمن « ربيعة » :

قلنا إن « ربيعة » عاش في الفترة التي كان يعيش فيها الأعشى الذي قد أدرك الإسلام في آخر أيامه ورحل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن « أبا سفيان » تصدى له وجمع له مائة ناقة فعاد أدراجه ومات بقرية باليمامة(١) . ذلك يعني أن « ربيعة » أكبر من الأعشى سنا وأنه لم يدرك الإسلام ولكنه قد عاش قبل البعثة ما بين العام العشرين إلى المائة تقريبا . وهذا يعني أن « ربيعة » عاصر عددا لا بأس به من فحول الشعراء في الجاهلية كزهير بن أبي سلمى والأعشى والنابغة وغيرهم . كما أن هذا يعني أن العصر الذي عاشه « ربيعة » كان عصر تكامل الشعر الجاهلي شكلا ومضمونا أي مرحلة النضج الشعري العربي .

نقد « ربيعة بن حذار الأسدي » :

من كل ما أصدره « ربيعة » من أحكام نقدية لم يصل إلينا إلا حكمه أو أحكامه

---

(١) الشعر والشعراء ٢٥٧ ابن قتيبة .

في شعراء بني تميم الذين قصدوه لذلك فهؤلاء الشعراء هم :

١ ــ الز برقان بن بدر.
٢ ــ عمرو بن الأهتم .
٣ ــ المخبل السعدي .
٤ ــ عبده بن الطبيب .

ويجدر بنا أن نعطي نبذة عن هؤلاء لأن حكم «ربيعة» لم ينصب على قصيدة بعينها لكل منهم ولكن على مجموعة من القصائد أنشدوها أمامه ونبدأ بالز برقان :

هو الحصين بن بدر الز برقان ولقب «بالز برقان» لحسن وجهه وهو وعمرو بن الاهتم ممن نادوا الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ من وراء الحجرات حين وفدوا في بني تميم . وقصته مع الحطيئة وعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ مشهورة وهى القصة التي هجا فيها الحطيئة الز برقان فاستعدى عمر ــ رضي الله عنه ــ على الحطيئة وهو ممن قالوا الشعر، ومن شعره :

أبعد بشرا أسيرا في بيوتهم	يرجو الخفارة مني آل ظلام
فلن أصالحهم مادمت ذا فرس	واشتد قبضا على السيلان إبهامي
فإنما الناس يالله أمهم	أكائل الطير أوحشوا لا رام
هم يهلكون و يبقى بعد ما صنعوا	كأن آثارهم خطت بأقلام

ومن قصيدته هذه استدل الناس على أن العرب في الجاهلية كانوا يخلدون صنائعهم بالكتابة منذ عهود بعيدة فضلا عن النقش على الحجارة والصخور.

أما عمرو بن الاهتم : فهو عمرو بن سنان بن سمى ، وسمى أبوه بالاهتم بسبب قوس هتمت فاهه، وهو الذي تحاور مع الز برقان أمام الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقال الرسول إن من البيان لسحرا لبيان عمرو وسحر معانيه .

وهو شاعر مجيد ومن قوله قافيته التي فيها :

ذريني فإن البخل يا أم هيثم	لصالح أخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها	ولكن أخلاق الرجال تضيق

أما المخبل السعدي:

فاسمه ربيعة بن مالك من بني شماس بن لاي بن أنف الناقة و يقال إنه كان له أولاد كثيرون بالاحساء وهم شعراء .

ومن أجمل شعره: بائيته والتي جاء فيها :

لقد ضل حلمي في خليده ضلة سأعتب قومي بعدها وأتوب
وأشهد والمستغفر الله أنني كذبت عليها والهجاء كذوب

إلى أن يقول :

فلا يعجبنك المرء إن كان ذاغني ستتركه الأيام وهو حريب
وكائن ترى في الناس من ذي بشاشة ومن شأنه الاقتار وهو غضوب

أما عبده بن الطبيب:

فهو من بني تميم ، أيضا وله قصائد عديدة منها عينيته التي يقول فيها :

إن الذين ترونهم خلافكم يشفى صدار رؤوسهم أن تصدعوا

و يقول في غيرها :

فلم يك قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وهو الذي وصف الجرد المسومة بالمناديل حين قال :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأ يدينا مناديل

راجع في هؤلاء ــ الشعر والشعراء والأغاني وغيرها من كتب الأدب ..

هؤلاء هم الشعراء الذين نقد شعرهم ربيعة بن حذار الأسدي وكان يجب أن نطرح أغلب شعرهم لنصل إلى أسباب نقد ربيعة لكن ليس هنا مجال على كل حال .. فماذا قال ربيعة ؟

قال ربيعة:

أما عمرو أي عمرو بن الأهتم فإن أشعاره برود يمانية تطوى وتنشر وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزورا فأخذ من أطايبها وخلط بغيره .. وأما أنت يا مخبل

فشعرك شهب من الله يلقيها على من يشاء..

وأما أنت يا عبده فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء. ذلك الإيجاز الذي ذكرناه حين قلنا إن النقد الجاهلي اتصف بالإيجاز و بادىء ذي بدء نلاحظ أن الناقد انطباعي يبحث لا في العمل الفني الذي أمامه ولكن في أثره في نفسه الأ ثر الذي خلفه ذلك العمل الفني في نفسيته ومدى تأثيره على عواطفه وعقله فالهدف إذاً ليس اللوحة الشعرية من ذلك النقد ولكن أثر تلك اللوحة.

والانطباعية ليست من المفاهيم الحديثة كما يبدو فهى مفهوم إنساني موغل في القدم مفهوم دفع الإنسان في الماضي السحيق إلى تحسس ومعرفة مسببات الأشياء تلك التي أخافته والتي أرعبته والتي أحزنته والتي جعلته مسرورا.

ففي الطبيعة من الأشياء العديدة التي خلفت آثارا عميقة في نفسيه الإنسان ودفعته إلى التفكير منذ أقدم الأ زل.

وإذا علمنا أن الشاعر انطباعي يعبر عن انطباعيته بالشعر فلقد وجد في تلك الأ زمنة الناقد الانطباعي أيضا الذي يتحدث عن أثر ما عبر عنه الشاعر في نفسه أن الانطباعية في الأدب والفنون تأتي من حالات غاية في الاتحاد كما هى غاية في التفرد في آن واحد وهذه الحالات تمس شغاف القلب أو تترك أثرا حادا في نفسية الشخص أو أنها تضعه في حالة عقلية متميزة.

ومن هذه الحالات ما اتفق على تسميته بالحالة الجمالية في العمل الأدبي أو الفني هذه الحالة التي صاحبت الوجود الإنساني منذ عهوده الأ ولى وظلت تتحكم في نظرته للأشياء والأشخاص في الطبيعة ومن حوله دون أن يجرؤ على القول بأنه لم يكن لها وجود في أي مرحلة من مراحل النمو البشري.

كان هناك جمال باستمرار وكان هناك اناس يستطيعون أن يتتبعوا وجوده أينما وجد و يقولون إنه هناك في الطبيعة أو في الأشخاص.

ولكن ما هو الجمال؟ إن هذا السؤال مشكلة من مشاكل الفلسفة وعلم الجمال أيضا ولقد حاولت الفلسفة كما حاول علم الجمال أن يعطيـــا تعريفا دقيقا له. لكنهما لم يوفقا إلا في زيادة تعقيد الأمر. فهل الجمال حالة أم قيمة أم شيء؟

إننا لا نستطيع أن نحدد ذلك فهو جميعها وهو أيضا متماسك الانفراد .

ولقد تأتى ذلك القصور في الوصول إلى نتيجة بسبب أن الجمال لو كان حالة فهل هو حالة خارج ذواتنا أم بداخلها وإذا كان قيمة فهل نحن الذين أعطيناه تلك القيمة أم أن القيمة في ذاته أما إذا كان شيئا فهل له مواصفات مسجلة في أحاسيس البشر؟

تلك هى الأسئلة التي جعلت التعريف ينقصه التوفيق ، على أية حال ان مما لا شك فيه أن ربيعة بن حذار وهو يصف عمرو بن الأهتم قائلا : شعره كبرد يمانية لابد وأن حالة جمالية قد صادفته في شعر عمرو وأننا من ألفاظه نجد أنه أخذ بها الحالة الجمالية أي الجمال كحالة وليس كقيمة لأن القيمة قد توجد دون أن يوجد الجمال ولو أن القيمة هى التي صادفته لما وصفه بالبرد اليمانية ..

و يتضح لنا هذا ، إذا علمنا إلى أي حد كانت البرد اليمانية تتصف بالجمال في ذلك العهد وتسجل إحساسا جماليا لدى الناظر إليها .

وإذا وقفنا عند جملة تطوي وتنشر نجد أن ربيعة كان يصف لنا عمق الانطباع الذي خلفه الشعــر في نفس وعقل ربيعة انه يصور لنا كيف أنه أخذ به وتتبعه من بيت شعري في حالاته المختلفة حين يتخفى وحين يظهر أو حين يطوي وحين ينشر وحتى في حالة طيه لا نفهم من ذاك انعدام وجود الجمال ولكنه موجود ومكنون أو مطوي في داخل ألفاظ البيت الشعري أو القصيدة الشعرية ..

إن انطباعية ربيعة بن حذار التي كانت هى منهجه النقدي هى التي جعلته يميز و يعبر بناءً على ما انطبع في نفسه من أثر للعمل أو الأعمال الشعرية التي قيلت في حضرته ..

والانطباعية في تلك العصور طبيعية جدا ولسنا بهذا الوصف ممن يضيفون مفاهيم حديثة على أعمال قديمة فالانطباعية إحدى الخصائص التي لازمت ومازالت تلازم البشر وكل إنسان هو انطباعي بدرجة ما غير أن الفنان والناقد قد يختلفان عن غيرهما لأنهما يستخدمان ثقافتهما في حقل صقل تلك الانطباعات التي يتأثران بها ومن ثم تأتي أحكامهما أكثر صدقا وأقرب إلى الإيضاح .

فالإنسان العادي انطباعي لكنه ليست لديه القدرة على التعبير بأسلوب فني أو

علمي مسبب لكنه يستطيع أن يعبر في حدود ضيقة ودون تسبيب .. وهناك مشكلة تنشأ حين تكون الانطباعية هى المنهج للناقد إذ يجب أن نفرق بينها و بين التذوق من جهة كما يجب أن نحدد مفهوم الحالة الجمالية في ذهن الناقد من جهة أخرى .

فالفرق بين الانطباعي والمتذوق أن الأ ول يؤثر العمل الفني أو الأدبي في حالته النفسية أو العاطفية من الوهلة الأ ولى بينما المتذوق لا يؤثر عليه العمل الفني ولكنه يحاول إعادة النظر أو الاستماع أو قراءة العمل الفني لتذوقه وليعرف أبعاده بينما الانطباعي إذا أعاد النظر أو الاستماع أو القراءة يتأكد لديه التأثير النفسي والذهني وتزداد قناعته بالعمل الفني .

ومن هذا نفهم أن الانطباعية تتطلب إنسانا لديه خبرات جمالية مسبقة لتساعده على إدراك كنهه الحالة الجمالية التي هو بصددها .. بينما المتذوق تنقصه الخبرات أو هى ضئيلة لديه ..

والتذوق في كل الأحوال يعني انعدام الاستعداد أصلا للنقد إذ كل عمل فني يتطلب استعدادا مسبقا ليستطيع الإنسان إدراك كنهه وسبر غوره ومعرفة أبعاده والمتذوق قد لا يصل إلى كل تلك النتائج أبدا ولكنه قد يستسيغ العمل الفني أو يقبله لنفسه دون أن تكون لديه القدرة على إقناع الآخرين به .. ولا يعني هذا رفض التذوق فهو ضرورة مبدئية للناقد وأساسية لكل من يهمه الأدب أو الفن فدونه لا تصبح لكل تلك الأعمال أية معاني في عقولهم و بالطبع هذا موضوع طو يل ليس هنا مكانه .

شمولية النقد عند ربيعة :

إن ربيعة بن حذار وهو يصدر حكمه على شعر عمرو بن الأهتم لم يتعرض لذلك الشعر في جزئياته ولكنه مثل بقية نقاد العصر الجاهلي ، ينظر نظرة كلية لأعمال الشاعر وذلك يعني ضرورة تكامل الصورة الفنية المتمثلة في أعمال الأديب ليتمكن الناقد بعد ذلك من إصدار حكمه أو نقده .

وهذه الظاهرة تدل على عقلية متقدمة في فهم النقد وأصوله على خلاف مفهوم النقد المتجزىء الذي مارسه بعض النقاد في عصور لاحقة فالشمولية التي ينظر بها الناقد تجعله أقدر على متابعة النمو الشعري لدى الشاعر وتطوره وتجعله أقدر على فهم قدرته الشعرية وتقدمها كما أنه يتفهم العمق الجمالي في أعمال الشاعر ومدى غوره .

ومن الغريب أن هذه النظرة الشمولية هى التي بدأت تظهر في النقد الحديث لتشكل بمفهومها قمة في تطور النقد عند الغربيين في العصر الراهن.

ادعاء مرفوض:

ولقد أورد المرحوم الأستاذ طه أحمد ابراهيم في كتابه تاريخ النقد عند العرب وهو بصدد النقد في العصر الجاهلي أن رهطا من شعراء تميم اجتمعوا في مجلس أنس وهم الزبرقان بن بدر وعبده بن الطبيب وعمرو بن الأهتم وتذاكروا أشعارهم ثم تحاكموا إلى أول من يطلع عليهم.. فطلع ربيعة ابن حذار الأسدي..

وهذه الرواية مرفوضة للتالي:

أولا: أنها لا تضع ربيعة بن حذار في موضعه الطبيعي كناقد وإنما تضعه كناقد بالصدفة.

ثانيا: أنها تقلل من مكانة الشعراء الذين وافقوا على الاحتكام لأول طالع عليهم.

ثالثا: أنها تقلل من قيمة الشعر الذي سيحكم له أو عليه من أول طالع.

رابعا: أن الشعراء أمثال هؤلاء ما كانوا ليحتكموا لأول طالع وهم على علم مسبق أنه ليس من السهولة بمكان أن يحكم على الشعر من هو ليس بشاعر أو ناقد.

والأصح أن هؤلاء الشعراء احتكموا إلى ربيعة وهم يعلمون مسبقا أنه سينصفهم و ينصف شعرهم لتمرسه على نقد الشعر وأنهم وثقوا به للقيام بهذا الدور.

ولو أن رواية المرحوم الأستاذ طه أحمد صحيحة كما أوردها وهى أنهم كانوا في جلسة طرب وشراب حين احتكموا لو كانت صحيحة لرفض ربيعة بن حذار ذلك لمكانته ونحن نعلم أنه كان حكما من حكام العرب وقضاتها وهو الذي حكم لعبد المطلب في مال ضد بني كلاب و بني الرباب في مكان قريب من الطائف لعله المثناه وحكم لصالح عبدالمطلب فهل يعقل أن يكون هذا الرجل يمتثل لأن يحكم لمخمورين كما تقول الرواية؟

على أن تلك الرواية استمدها الأستاذ أحمد من التاريخ الذي شوه كثيرا من الحقائق في هذا المجال ولو أننا أخذنا تلك الرواية على أنها صحيحة فمعنى هذا أن النقد في العصر الجاهلي لم يكن وجوده طبيعيا وهو تقليل بتلك الأعمال النقدية التي وردتنا

مهما كانت ضآلة الحجم الذي أتت به .

نقد ربيعة للزبرقان :

بلا جدال أن نقد ربيعة للزبرقان كان مرا فلقد بين له أنه يخلط الجيد بالرديء .. وأن شعره خليط من هذا وذاك وقد لا يكون هذا في مجموع الشعر وحده ولكن في القصيدة الواحدة أيضا .

لكن الذي يقرأ شعر الزبرقان فإنه بلا شك واجد أن نقد ربيعة بن حذار صادق إلى أبعد الحدود فالناقد لم يجامل الشاعر بل قال له الحقيقة حسبما هي عليه وحسبما انعكست في خاطره أما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزورا فأخذ من أطايبها وخلطه بغيره .

بهذه الدقة في التعبير وبهذا الأسلوب المجازي وضع ربيعة شعر الزبرقان كله أمامنا وقد بدى واضحا جليا قول الأعشى :

فإذا أردت المجد أين محله   فأعمد لبيت ربيعة بن حذار

وربيعة حين نقد شعرالزبرقان بهذه الدقة وهذا الوضوح يبدو أن رداءة الشعر طغت عنده على جيده مما أثر على ابن قتيبة فأسقطه من كتابه الشعر والشعراء .. ويعود هذا إلى النظرة الشمولية التي نظر بها ربيعة في شعر الزبرقان وإلا فنحن واجدون في شعر الزبرقان ما هو جيد لو أن شعره قوم على أساس كل قصيدة على حده .. أو كل بيت على حده ولو أن ربيعة لم يكن ينظر نظرة شمولية .

إن منهج ربيعة الانطباعي هو الذي يقوده أبدا ولقد أدى ذلك المنهج وجهة نظر ربيعة بشكل سلس وطبيعي إذ وجد من الشعر الجيد ما هو متوفر ووجد أن هناك من الشعر الرديء ما هو متوفر ولكن الاثنين قد اختلطا اختلاط تمازج ومعنى هذا أن القصيدة أو القصائد لم تكن تعطي انطباعا بأن هناك تفوق أو أن البناء متماسك لأن الرديء من الشعر ينحشر بين الجيد منه .

أثر الصورة الشعرية عند ربيعة :

ومن الواضح أن ربيعة تؤثر عليه الصورة تأثيرا بالغا فالصورة التي ظل يبحث عنها في شعر الزبرقان لم تكن تلك التي كان عليها أن تؤثر في وجدان الناقد بعد أن

تنعكس متكاملة في عقله.. والسبب الذي يدعونا إلى هذا القول هو أن المواضيع الشعرية التي طرقها الز برقان لا تختلف عن غيرها من المواضيع التي طرقها بقية شعراء عصره.. ومن ثم يصبح العيب الذي يمكن أن يكون قد دفع ر بيعة إلى ذلك النقد عدم تكامل الصورة الشعرية في شعر الز برقان..

ثم أن هناك تقريرية متناهية في أشعاره.. جعلته هو نفسه يدرك تلك الحقيقة فيلجأ إلى شاعر كالحطيئة يبتغي منه المدح.

إن الرواية التالية، تجعلنا نقترب من هذا الذي قلناه، تقول الرواية: إن الز برقان لقى الحطيئة فطمع في مدائحه فسيره إلى قومه وكتب إليهم أن يكرموا وفادته والز برقان من الشعراء الكتاب، لكن بغيض بن عامر الذي كان ينازع الز برقان شرف الزعامة استمال الحطيئة فضرب له بغيض قبة ور بطوا بكل طنب حلة وأكثروا عليه التمر واللبن فلما قدم الز برقان ولم يجد الحطيئة نادى في قومه وركب فرسه وكادت تقع حرب بين حيين (1).

فإذا كان الز برقان الشاعر أراد أن يخوض حر با من أجل مدائح الحطيئة، ألا يعني هذا أنه لم يكن قادرا على إنشاء قصائد شعرية تغنيه عن الحطيئة؟!..

أغلب الظن أن الز برقان كان يدرك ذلك وهذا يؤكد ما ذهب إليه ر بيعة بن حذار، والز برقان كان سيداً من أصحاب العمائم المزعفرة أكد لنا هذا المخبل السعدي في قصيدته التي منها:

ألم تعلمي يا أم عمرة أنني	تخاطأني ريب الزمان لأكبرا
وأشهد من عوف حلولا كثيرة	يحجون سبت الز برقان المزعفرا

لكن ذلك لم يجعل ر بيعة بن حذار يجامل أو ينافق الز برقان بالامتناع عن نقده ذلك النقد المر فالنقد الجاهلي كان نقدا صادقا استمد أسبابه من الطبيعة الصادقة الجلية التي ما كانت تدعوإلى المداهنة أو المجاملة، فالردىء ردىء.. والجيد جيد...

ور بيعة كان يدرك أنه يعيش بين أقوام يميزون بين الجيد والردىء، كما أنه أراد أن يحترمه التاريخ فلا يرمي بالقول على عواهنه و بالتالي يتهم هو كناقد لو أنه جامل أو

---

(1) الأغاني للأصفهاني ٢ — ١٨٠.

داهن أو امتنع عن قول ما تجسد في عقله .

ور بيعة فوق هذا وذلك لم يستخدم ألفاظا بذيئة كأن يقول بأن شعرك يا ز برقان منحط أو بدائي أو تافه وفي أحسن الفروض يقول عليك أن تترك هذا المجال .. ولكنه استخدم أسلو با غاية في الأدب و يعبر بأحسن ما يمكن التعبير عنه في تلك البيئة ..

و بالرغم من مرارة النقد الذي قاله ر بيعة للز برقان إلا أننا نجده من ناحية أخرى اعترف بأن في شعر الز برقان بعض الأعمال الجيدة لكن ترك لنا أن نميز الجيد من الردىء ور بيعة بهذا كأنه يدرك أن مفهوم الجيد والردىء مفهوم غير ثابت ولهذا لم يشأ أن يحدد لنا أين يكمن الجيد في شعر الز برقان وأين يكمن الردىء وهذا بلا شك إدراك للتغيرات في المفاهيم الجمالية عند البشر من جيل لآخر ومن بيئة لأخرى .

ولعله كان يتمثل ما حدث للأعشى ميمون بن قيس حين ألقى قصيدته على أحد أكاسرة الفرس والتي جاء فيها :

ألم تغتمض عيناك ليلة   أرمدا
و بت كما بات السليم   مسهدا
وما ذاك من عشق النساء   وإنما
تناسيت قبل اليوم حلة   مهددا

فكان أن علق عليها الملك الفارسي بقوله : إذا كان هذا الشاعر يسهر الليل وهو ليس سقيما وما به عشق للنساء فهو لص .

إن الملك الفارسي الذي ترجمت له القصيدة دفعته تلك الترجمة بأن يصم الأعشى بكونه لص .. ولكن الملك الفارسي لم يتفهم القصيدة أو أن إدراكه لمعاني تلك الأ بيات الجمالية لم يكن هو إدراك الإنسان العر بي الذي يعلم أن الإنسان يسهر لأشياء كثيرة ليس من بينها العشق ولا المرض ولا اللصوصية .

إن الأعشى كفليسوف يتعجب من الدهر و يفكر فيه ها هو يقول :

ولكن أرى الدهر الذي هو   خائن
إذا أصلحت كفاي عاد   فافسدا
شباب وشيب وافتقار   وثروة

فللـــــــه هـــذا الدهـــر كيـــف تـــرددا

أظن أن ربيعة قصد عدم التفنيد لهذه الأسباب ونقده كله يبتعد عن ذلك التفنيد تحسبا للأذواق واختلاف القيم والتغيرات للمفاهيم الجمالية :

وحدة القصيدة أو البيت :

وربيعة لم ينظر إلى وحدة القصيدة ولا إلى وحدة البيت الواحد في القصيدة ولكنه نظرة إلى وحدة العمل الشعري الذي طرح أمامه بكله وكليله ، وهذه كما قلنا نظرة متقدمة فلو أنه نظر إلى وحدة البيت لكان أن أعفى الزبرقان من نقده ذلك النقد المر بهذا البيت فقط والذي نسب إلى الزبرقان ونسبه إليه قومه بنوسعد ونسبه غيرهم إلى النابغة .

تـعـدو الـذئـاب على مـن لا كـلاب لـه وتـتـقي مربض المستنفـــر الحـــامي

فكم من أناس عدوا شعراء لبيت أو بيتين أو ثلاثة وعفت تلك الأبيات القلائل عن كثير من أشعارهم الرديئة لكن ربيعة اختلفت نظرته ومع اختلافها لم ينكر وجود شعر جيد للزبرقان . .

تقبل الزبرقان لنقد ربيعة :

تقبل الزبرقان نقد ربيعة بروح جيدة رغم عنجهية ذلك الزمان وجاهليته فالزبرقان كان سيدا على الرباب وعون والأبناء وهو من الفرسان الشعراء و يأتي بعد دريد بن الصمة وعنترة و يأتي بعده عروة بن الورد وقيس بن أساف عند من نظروا إلى الشعراء من هذه الزاوية . . لكن ذلك لم يمنعه من تقبل النقد النزيه الجيد رغم علمه بأن ربيعة كان سيدا أيضا وكان من الجرارين الذين كانت العرب لا تطلق عليهم هذا الاسم إلا إذا قادوا ألف رجل و يروي في أيام العرب أن عديا ابن أخت الحارث بن شمر الغساني أغار على بني أسد فلقيه بنو سعد بن ثعلبة ابن دودان بالفرات ورئيسهم ربيعة بن حذار وانتصرت فيه بنو أسد وسمى يوم الفرات وهذا اليوم لم يورده ابن رشيق في أيام العرب كذلك لم يورده جورجي زيدان ولكنه ورد في المحبر .

تبين لنا هذه الروايات أن كلا الرجلين عظيمين لكن النقد موضعه النزيه فوق كل الاعتبارات وتقبله بروح طيبة رغم أنه عصر عنجهية وجاهلية كما قلنا ولعل هذه

الرواية التالية أرادت أن تقول بأن النقد لم يكن يتقبله العرب أو الشعراء منهم على الأصح و ينسبون إلى حسان بن ثابت أنه ممن لم يتقبلوا النقد وقد يكون هذا مما دس على حسان بعد أن حسن اسلامه ..

تقول الرواية:

إن حسان جاء عكاظ في الجاهلية حيث يتعاكظ الشعراء أي يتفاخرون وأنشد قصيدته بعد أن أنشد الأعشى أمام النابغة الذبياني ثم جاءت الخنساء فأنشدت فقال لها النابغة والله لولا أن أبا بصير ــ يعني الأعشى ــ أنشدني آنفا لقلت أنك أشعر الجن والانس فغضب حسان وقال والله لأنا أشعر منك ومن جدك فقام النابغة وأمسك بيد حسان وقال يا ابن أخي إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي ..

فإنك كالليل الذي هومدركي ..

وإن خلت أن المنتأى عنك واسع ..

لكن نفس هذه الرواية تعود وتقول بأن حسان تقبل النقد وذلك للتالي:

قال النابغة للخنساء أنشديه فأنشدته فأعجب شعرها حسان وعلق عليه بقوله والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك وردت عليه ولا ذا خصيتين.

وهكذا وافق حسان النابغة على أنني أعتقد أن شطرا من هذا الكلام مدسوس على حسان رضي الله عنه ولو كان النقد يرفض لوردت روايات أخرى لشعراء آخرين ولكن كل الروايات تشير إلى تقبل الشعراء للنقد سواء في سوق عكاظ أو في غيره.

نقد ربيعة للمخبل السعدي:

بعد أن نقد «ربيعة» الزبرقان انتقل لنقد المخبل السعدي قائلا له:

«إن شعرك شهب من الله يصيب بها من يشاء». وقد تستوقفنا لفظ الجلالة هنا إذ حاول المشككون في الشعر الجاهلي الادعاء بأن ما يسمى بالشعر الجاهلي ما هو إلا من وضع اناس في عصور إسلامية لاحقة واستندوا في هذا على ما ورد في الشعر الجاهلي أو الأقوال الجاهلية من لفظ الرحمن والله «جل جلاله» دليل على أن ذلك الشعر أو تلك الأقوال من وضع اناس في عصور إسلامية لأن الجاهلية لم تكن تعرف ذلك.

وقد يكون من المفيد هنا أن نلجأ إلى ما عثر عليه من نقوش اعترف الغربيون بأنها

نقوش وضعت في عهودها ومن هذه النقوش هذا النقش اللحياني من مجموعة كار بس للنقوش العربية القديمة نجد أن النص يقول «مر له ومثله بنو نضر أخذوها قبر ذه هم وأخوهم» ، ومعناها «أمرؤ الله أي عبدالله» . وحاش الله «أني حرث الله» بنو نضر أخذوها القبر هذا هم وأخوهم . واللحيانية إحدى اللغات العربية الشمالية القديمة واللحيانيون أحد الشعوب التي سيطرت في الفترة من القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن الثاني قبل الميلاد على المنطقة الممتدة من يثرب حتى أعالي خليج العقبة و يعتقـدأنهم فرع من ثمود وخليج ايلات اليوم، إنما هو في الأصل خليج لحيان وكان ينطق لحينث فحرف ليصبح لحينات لحيلات فايلات .

وهذا نقش لحياني أيضا يعود لنفس الفترة و يقول :

«كتب هذا شيعة على آل كعمان الذي فقد كله فيا قوة ذو غيبت أصغر من يحاول شرا أو عبثا بهذا عاش من لله رتبه ومعناه كتب هذا أتباع علي آل كعمان الذي مات فيا قوة الغيب امنعي من يحاول شرا أو عبثا بهذا بحاش الذي لله أوقفه»(١) .

واضح مما ورد في هذه الشواهد لقبور تلك الحقبة من الزمن أن لفظ الجلالة قد جاء كما هو عليه الآن وليس كما ذكر الدكتور «جواد علي» الذي استند إلى آراء المستشرقين في هذا الموضوع(٢) .

أما لفظة الرحمن فقد وردت في نقوش عديدة سبأية ومن أهمها نقوش أبرهة .. التي كانت تستفتح بهذه الجملة «تحل وردا ورحمت ورحمن ورح قدس سطر وذن مزندن» .

ومعناها بحول وقوة رحمة الرحمن وروح القدس سطروا هذا المسند «الكتابة» من مجموعة جلاسير العرب قبل الإسلام(٣) .

نخلص من هذا إلى القول أن لفظ الجلالة «الله» عرفه العرب قبل المسيحية بمئات السنين واستمدوه من الحنفية ولفظ الجلالة «الرحمن» عرفوه في عصور لاحقة .

وأن أي ادعاء بجهل الجاهلين بهذه الأسماء من أسماء «الله» الحسنى مردود . فالقرآن الكريم ورد به (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) . . .

---

(١) العربية قبل الإسلام ــ أحمد شرف الدين .

(٢) العرب قبل الإسلام ــ جواد علي ٦ ــ ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) العرب قبل الإسلام ــ جواد علي ٣ ــ ٤٨٤ .

سورة لقمان (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ... سورة الزخرف ...

ففي العهود الجاهلية القريبة من الإسلام وفي العهود الجاهلية الموغلة في القدم نجد أن العرب فيها تلفظوا باسم « الجلالة » كما نلفظه اليوم .

والعرب في الجاهلية كانت تسمى «عبدالله وأحمس وعائذ الله وأنس الله » وغيرها ...

إذ ليس هناك ما يدعو للتشكك حين نجد « ر بيعة » يصرف شعر المخبل السعدي بأنه شهب من الله ... و والد النبي صلى الله عليه وسلم اسمه عبدالله .

أما لماذا وصفه ذلك الوصف فأنا أرى ما جعل « ر بيعة » يصفه بذلك الوصف هو أن شعر المخبل السعدي أغلبه في الفخر.

والفخر والهجاء في نظري يقتر بان من بعضهما البعض والفرق بينهما يدق فالذي يفتخر يفتخر على الجميع أما الذي يهجو فإنه يهجو اناسا بأعينهم وفي كلا الحالتين إيلام للآخرين .

وشعر المخبل يدور معظمه في فلك الفخر ولكي نثبت هذا نأتي بهذه الأ بيات الغريبة :

افتخر المخبل السعدي بأن قومه ناصروا « أبرهة » في غزوته على قبائل « معد » وكان يمكن أن يشك في هذا الفخر أو في هذه الأ بيات لكن هناك أدلة قو ية تثبت صحة هذه الأ بيات ، ونورد الأ بيات أولا ، يقول المخبل :

صرموا لأ برهة الأمور محلها ... حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارثان كلاهما ... شركاؤنا في الصهر والأموال

وفي أبيات أخرى ذكر التالي :

و يوم أبي يكسوم والناس حضّر ... على حلبان إذ تقضي محامله
طو ينا لهم باب الحضير ودونه ... عزيز يمشي بالحراب مقاولة

تلك هى الأ بيات (وأبي يكسوم) هو « أبرهة » .

أما ما يؤيد هذا الشعر وما ورد به من معاني فهو نص نقش على صخرة عثرت عليها

بعثة تسمى (بعثة ريكمنس) باليمن. وهذا النص مدون بخط المسند ـــ وهو الخط العربي ـــ الجنوبي أقدم الخطوط العربية الجنوبية حتى الآن..

وهذا النص باللغة السبأية حينذاك كالتالي:

«بخيل رحمنن وسمهو ملكن ابره ملك سبأ وذريدن وحضرموت ويمنث واعربهموا طودم وتهمت سطرو ذن سطرف كفزيو كغزيو هدم غزوتن ربعتبن بورخن ذثبثين كقسده كل بني عمرم وذكي ملكن ابجبر بعم كدت وعلي و بشرم يخصنم بعم سعدم قدمي جبيش على بني عمرم كدت وعلى وديعة زبرن مرم وسعدم بودبمنهج تربن وهرجبوا وازرو ومنموذ عسم ومخض ملكن بحلبن ودنو كظل معدم ورهنو و بعد نهو وزعهمو عمرم بن مذرن ورهنهمو بنهو وستخلفهو على معدم وقفلوا من حلبن نحيل رحمنن ورحهو ذلثتي وستي وست ماتم».

هذا هو النص باللغة السبأية القديمة... ومعناه التالي:

«بحول الرحمن ومسيحه الملك ابرهه ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن واعراب النجود وتهامه سطروا هذه الأسطر لما غزت معد الغزوة الربيعية بشهر ذو الثبات ولما ثار بنو عامر أرسل الملك أباجبر بقبيلة كنده وقبيلة علي و بشر بن حصن بقبيلة سعد بوادي يؤدي أو قريب من تربه فقتلوا بني عامر وأسروا وكسبوا غنائم وأما الملك فحارب في حلبان وهزمت معد ورهنت رهائن عنده وفاوض عمرو بن المنذر وقدم رهائن من أبنائه فاستخلفه على معد وقفل راجعا من حلبان بحول الرحمن في اثنين وستين وستمائة»(1).

هذا النقش يؤكد ما ذهب إليه المخبل السعدي في شعره وفخره فهو إذا يتفاخر بوقائع صحيحة وجدت مدونة من أصحابها..

وإذا علمنا أن العرب في الجزيرة لأسباب كانت قائمة آنذاك لم تتورع في خوض حروب لصالح أبرهة فإن هذه الغزوة التي قام بها أبرهة كانت غير غزوة الفيل وإنما هي سابقة عليها.. انتصر فيها بعض العرب لأ برهة وقاومه آخرون..

فشعر المخبل على درجة كبيرة من الصحة والواقع وكون قومه خاضوا مع أبرهة

---

(1) العرب قبل الإسلام ـــ جواد علي ٣ ـــ ٤٩٤٠.

حر با في موقعة حلبان صحيحة دونها أبرهة نفسه وذكر أسماء القبائل التي خاضت الحرب معه.

أما الغرابة في ذلك الشعر فهي كيف لم يجد المخبل السعدي الذي تفترض فيه الحكمة أن يستعين بهذا التاريخ ليفخر به؟ لكن كما قلنا كان القصد هو الانتصار مع أي قوة ضد أي قوة.. وفخر المخبل مرتبط بالآباء وماضيهم كعادة العرب آنذاك...

فها هو يقول:

و ينفث فيما أورثتني أوائلي
و يرغب عما أورثته أوائله

وحين تفاخر على الز برقان قال له:

وأبوك بدر كان ينتهس الحصى
وأبي الجواد ربيعة بن قبال

وهكذا نجد أن شعر المخبل ذكر للماضي وللأجداد وافتخار بهم و بأفعالهم...

ولما كان الفخر لا يؤدي الغرض في كثير من الأحيان كان لابد للشاعر أن يلجأ إلى الهجاء إذا أراد أن يجرح أشخاصا بأعينهم أو قبيلة بعينها ومن هنا نجد المخبل لأسباب لا ندري ما هي لجأ إلى هجاء «الحطيئة» رغم أن «الحطيئة» هو الذي قال في قومه أنف الناقة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... فمن يساوي بأنف الناقة الذنب

رغم ذلك نجد «المخبل» قد هجا الحطيئة قائلا:

إذا ذكروا الحطيئة لم يعدو ... حديثا عند ذاك ولا قديما
وما كان الحطيئة غير كلب ... رماه الله إذ نبح النجوما

ربيعة والمخبل:

حين نتعمق في مثل هذه الأ بيات وحين ندرك معنى الفخر في أذهان الناس في تلك الفترة من الزمن سنتصور بلا تردد ماذا كان يعني «ربيعة بن حذار الأسدي» حين وصف تلك الأشعار بالشهب أن هذا الوصف لا يقتصر على معناه فقط ولكن

يؤكد أن «ربيعة» استمع إلى مجموعة كبيرة من أشعار «المخبل» وما وصفها «ربيعة» بالشهب إلا بعد تعمق في معانيها.

أجل شهب حارقة الفخر مجالها الفخر المدمر الذي يعلي قوم على قوم المجد التاريخي إذا كان لنا أن نسميه ذلك المجد الذي كانت تسعى لتحقيقه كل قبيلة لحساب نفسها وكانت تنتظر أن ينبغ من بينها شاعر ليذكره للآخرين وللتاريخ أما أنه شهب فهو كذلك إذا أخذنا في الاعتبار التالي:

١ ــ أن الفخر أسلوب من الأساليب النفسية شديدة الأثر وإذا علمنا أن العرب كانوا يدركون هذه الأمور في تلك الحقبة من الزمن وكان سلاحهم في ذلك الفخر والهجاء في الحروب النفسية التي كانت تشن بينهم... وكان هذا الأسلوب ذو أثر سريع خاصة إذا عرف الرواة كيف ينقلونه بالسرعة المطلوبة و يفشونه بين من يريدون الافتخار عليهم أو هجائهم و بين أنصارهم وأعدائهم على السواء.

٢ ــ أن الشعر كان هو أفضل وسائلهم الكلامية لسهولة حفظه ونقله كما أن الخطابة تأتي بعده لصعوبة تذكرها كما هى حتى لو كانت مسجوعة.

٣ ــ أن العربي بطبيعته و بناءا على الدراسات الانثرو بيولجية والبيولوجية والنفسية وجد أنه عاطفي إذا أحب أسرف في حبه و يغضب و يرضى سريعا.

٤ ــ أن للكلمات أثر فعال في نفسيته لا تقوم الأفعال مقامها.. ولكن هل كان ربيعة بن حذار الناقد يدرك ذلك حين وصف شعر «المخبل» بأنه شهب من «الله» ؟!

أغلب الظن أنه لم يكن يجهل ما للأقوال من تأثير كبير على نفس وعقلية المتلقي.

وأنه لولا ذلك لما اختار لفظ شهب ليعبر بها عن أقوال «المخبل» السعدي».

وربيعة بهذا يجعلنا ندرك أنه ناقد يدرك أبعاد الأشياء وتأثيراتها...

و بعد لا أريد أن أترك «المخبل السعدي» هذا الذي ظل يفخر بأشعاره ردحا طو يلا من الزمن وأعاد تاريخ قومه في شعره. لا أريد أن أتركه قبل أن أنقل هذه الأبيات الرائعة التي وصف فيها ماذا فعلت به الشيخوخة وماذا تفعل بأسلوب لا

أظن أن أحدا سبقه إليه و بدقة متناهية لا أظن أن أحدا سيجاريه فيها .

يقول «المخبل السعدي» في تلك القصيدة:

فإن يك غصني أصبح اليوم ذاويا
وغصنك من ماء الشباب رطيب
فإني حنى ظهري حوان تركنه
عريشاً فمشي في الرجال دبيب
وما للعظام الراجفات من البلى
دواء وما للركبتين طبيب
إذا قال أصحابي ربيع ألا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهوقريب
فلا يعجبنك المرء إن كان ذا غنى
ستتركه الأيام وهو حريب
وكائن ترى في الناس من ذي بشاشة
ومن شأنه الاقتار وهو نجيب



نقد ربيعة لعبدة بن الطبيب

تعجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرددا صدر البيت وعجزه.. متأملا تعمق الشاعر وادراكه للحياة:

والمـرء ساع لشيء ليس يدركه — والعيش شح واشفاق وتأميل

وسأل مرة الخليفة عبدالملك بن مروان جلساءه أي المناديل أشرف؟ فقال أحد الجلساء: مناديل مصر، وقال آخر: مناديل اليمن كأنها نور الربيع، فقال عبدالملك: كلا وإنما مناديل أخي بني سعد بن الطبيب..

ثمت قمنا إلى جرد مسومة — أعرافهن لأ يدينا مناديل

وعبدة ابن الطبيب هو الذي قال له ربيعة ابن حذار الأسدي..(أما أنت ياعبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فلا يقطر منها شيء)..

وبادىء ذي بدء تشكك هذه الجملة أو هذا النقد فيما رمى إليه ربيعة فهل هوذم أم هومدح ولكن إذا تتبعنا الألفاظ سندرك بلا جدال ما رمى إليه ربيعة.. وأولا ماذا تعني المزادة؟!

المزادة هى الجلود التي تضم إلى بعضها البعض بالخرازة لتحفظ السوائل ومنها السمن أو العسل وغير ذلك، وكان للمزادة دور كبير وخطير في حياة الأعرابي حين كانت تعوزه وغيره الكثير من الأدوات..

والمزادة كانت تعني ضمانة للعربي فهي تزوده بما يحتاجه مما فيها في حله وارتحاله، وأنا أتصور أن ربيعة لم يختر لفظ المزادة عبثا ليصف به شعر عبدة بن الطبيب ولكن اختياره ذلك اللفظ أراد أن يقول لنا إن الشكل عند عبدة بن الطبيب شكل محكم.. وبهذا يخالف هنا منهجه في هذه الجزئية من النقد لكونه أخذ في الاعتبار الشكل الشعري عند عبدة بن الطبيب ووصفه بأنه محكم بعد أن اختار لفظا دقيقا يقرب لنا ما أراد قوله..

ولعله بهذه المخالفة أراد أن يلفت نظرنا للشكل عند عبدة بن الطبيب وأسلوبه الجديد فيه من حيث تركيب الألفاظ على خلاف ما نراه في الشعر الجاهلي عموما..

تركيب الصورة:

فعبدة بن الطبيب لا يستخدم البديع في إعطاء الصورة الشعرية أي لا يعتمد على الجمال اللفظي والجمال الموسيقي للألفاظ ولكنه يركب الصورة من ألفاظ متنافرة ومع ذلك تنعكس تلك الصورة جميلة في الشكل وغنية بالمعنى ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأ يدينا مناديل فإن أعراف الجرد المسومة (الخيل) أعرافهن الشعر الذي على أعناقهن هذه الأعراف اتخذها وجماعته مناديل لمسح أيديهم من وليمة دسمة كما يبدو..

فالصورة هنا جميلة إذا أخذنا في الاعتبار حياة الفروسية التي كانوا يعيشونها.. والتنافر في الألفاظ واضح ومع ذلك فقد تجمعت الصورة الشعرية كأبدع ما يكون التجمع...

ولهذه فلا غرابة أن تعجب مناديل عبدة بن الطبيب عبدالملك بن مروان وفضلها على سائر مناديل مصر واليمن آنذاك...

إن ربيعة إذاً دقيق في نقده عميق في فهمه لعمله ولم ينظر إلى الأشياء نظرة سطحية.. وفي مرثيته لقيس بن عاصم يعطينا عبدة بن الطبيب صورة أخرى جميلة لفت إليها نظرنا ربيعة ابن حذار الأسدي حين قال أن شعره مزادة، تقول المرثية:

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من البستة منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلما
فلم يك قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

إنك إذا تركت مجموع الصور الشعرية في هذه القصيدة واكتفيت بالتأمل في البيت الأخير فقط ستدرك أن الشاعر كان مصورا بارعا بنفس أسلوبه الخاص به في التصوير الذي في النهاية يضم بين ثناياه معاني بليغة وغنية..

(فلم يك قيس هلكه هلك واحد ــ ولكنه بنيان قوم تهدمـــا ...)

لقد صور عبدة بن الطبيب المصاب الجلل ببنيان قوم.. بنيان كانوا يلجأون إليه و يأو يهم و يقيهم الحر والبرد. و يسترهم من العائدات و يصد عنهم الزوائد. بنيان يفخرون به و يتطاولون على غيرهم بعظمته ومناعته و يتحدون بمتانته وسمك قواعده ــ بنيان يتعجب له الآخرون. كيف يأوي ذلك الجميع وكيف يحميهم بنيان ملأ صيته الأرجاء فهو شامخ تليد عزيز منيع.. لكنه تهدم فكم إذاً هو مصاب جلل لأولئك القوم كم هو خسارة فادحة..

لقد تحدث عبدة بن الطبيب مصورا مقدار الخسارة بعد كل تلك المكاسب الهائلة. ولكنه بنيان قوم تهدما..

الشكل عند ربيعة:

إن مفهوم الشكل عند ربيعة إذاً مفهوم متطور يواكب في تطوره مفهوم الجوهر عند الشعراء في تلك الحقبة من الزمن وهو عارف بأسراره مقدر لجماله وأصالته ومدرك لكل أبعاده فهو لم يخطىء إذاً بإيحائه لنا بجمال الشكل عند عبدة بن الطبيب وروعة معاني ذلك الشعر..

أترى كان ربيعة قد توصل إلى صورة التكامل بين الشكل والمضمون في فهمه لقصيدة الشعر؟.. أغلب الظن أن ذلك الإدراك كان قائما وإلا ما كان ليقول بأن الشكل عند عبدة بن الطبيب (مزادة) (أحكم خرزها).. فالاحكام عنده.. هو أن يضم الشكل الشعري معانيه فلا يقطر من هنا أو يتسبب حيث يفيض المعنى و يضيق عنه الشكل أو يبدو الشكل ولا تتضح المعاني إذا التكامل في الشكل والمضمون وارد في ذهنيه ربيعة. بهذا المفهوم الذي نفهمه به اليوم أوعلى الأصح يفهمه النقاد اليوم..

على أن ربيعة حين اتجه إلى الإشارة في هذه الجزئية من نقده للشكل عند عبدة بن الطبيب فهى اشارة للتدليل على الجمال الشكلي حين يتخلى عن الجمال اللفظي باستخدام البديع.

ومع أن «ربيعة» ناقش الشكل عند «عبده بن الطبيب» في مقدمة قوله إلا أنه أيضا عالج المضمون حين قال فلا يقطر منها شيء... أي أن المضمون جيد اتحد مع

الشكل وتكامل معه. وكعادة «ربيعة» يترك لنا نحن التمتع بذلك المضمون الجيد وتتبعه فهو لا يشير أين أبدا، وإنما علينا أن نتحسسه من خلال القصائد الشعرية للشاعر إنه يكتفي بالإيحاء والتلميح حتى لا نصبح كالذي لا يرى ولا يسمع وبهذا نستفيد من الحاستين الجماليتين حاسة السمع وهي تردد بها أنغام الألحان والتركيب اللفظي وحاسة النظر التي تعكس في مخيلتنا تلك الصور الجميلة البديعة. فنرى كل ذلك متجسدا في أشكاله وصوره الجمالية وإذا كنا قد قلنا أن «ربيعة» اهتم بالمضمون في نقده لكل من «الزبرقان» و«المخبل السعدي» وقبلهما «عمرو بن الأهتم» فإنه في نقده «لعبدة بن الطبيب» لم يخالف اتجاهه الأصلي إلا في هذه الجزئية من نقده «لابن الطبيب» حين أراد لفت أنظارنا إلى التركيب اللفظي عنده...

ومعنى هذا أن «ربيعة» ذاته قد لفت نظره بحكم ما جرت عليه العادة في الشكل الشعري في حقبته وتغير ذلك المجرى إلى الإشارة إلى ذلك التغير. (لما نزلنا نصبنا ظل أخبيه/ وفار للقوم باللحم المراجيل/ ثمت قمنا إلى جرد مسومة/ أعرافهن لايدينا مناديل)(1).

ولعل البيتين أعلاه يكعسان حياة أولئك العرب الذين كانوا يطاردون الأوابد في الفلاة على الجرد المسومة ثم ينصبون ظلال أخبية و يوقدون لكي تفور باللحم المراجيل.. ثم ما أن ينتهون حتى يمسحون على مناديلهم الخاصة وهي أعراف الخيل.

إن استعانة الشاعر الجاهلي بالصورة كانت بناءا على دراية تامة بأصولها الفنية و بعلم مسبق إلى ضرورتها في الشعر. لكي لا يقع في التقريرية المقيتة التي إذا أسيء استخدامها حطمت مفهوم الشعر، وازدرت عظمته. ولم تكن الصورة في مخيلة الشاعر الجاهلي عملية نقل كما تنقل الكاميرا في أيامنا هذه ولكنها كانت عملية بناء حي يتجاوب مع ما حوله وتتفاعل كل جزئية فيه مع الجزئية الأخرى بحيث تحقق تلك الحالة النفسية والعقلية لدى القارىء أو السامع للعمل الشعري والتي تصل ذروتها حين يشعر المرء بالارتواء. إذاً حين جاء «ربيعة» مائلا في نقده للشكل عن عبدة بن الطبيب كانت هذه لفتة منه للتاريخ يشهده أن الناقدالعربي أيضا في فترة التكامل للشعر الجاهلي، كان مدركا للأهمية الفنية للشكل وضرورة تكامله واتحاده مع المضمون..

(1) الكامل للمبرد ١ — ٣٢٧.

أَمَيمَة أم جُندبْ الطائيَّة

مقدمة:

تطالعنا هذه الفتاة الشابة الذكية الجميلة من خلال القرون بممارستها النقد للشعر وتبهرنا بأن المرأة في تلك الحقبة من الزمن لم تمارس الشعر فقط، ولكن مارست النقد وهى لهذا تكاد تكون أول امرأة ناقدة في العالم إذا علمنا أن النقد الذي وصلنا لم يتجاوز العام الأ ربعمائة قبل الميلاد وأن كل الأسماء التي وردت لم يكن من بينها اسم امرأة سواء عند اليونان أو غيرهم. وأميمة ــ هذه الفتاةــ قد بهرت امرأ القيس الشاعر الفحل بذكائها وجمالها فسعى جاهدا للزواج منها وكاد يفقد حياته من أجلها لولا أن الظروف قد خدمته فأنقذت حياته..

من هى أميمة:

أميمة فتاة من طيء تكني أم جندب لم يذكر لنا التاريخ اسم أبيها ولم يتعرض امرؤ القيس في شعره لذلك لكن جدها هو النعمان بن ناشره بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع ابن مالك بن زيد مناة بن تميم وكانت تعيش في البادية.. التقى امرؤ القيس بالصدفة بها فأعجبه في أول الأمر جمالها وكان قد آلى على نفسه ألا يتزوج إلا من امرأة ذكية. و يبدو أنه قد مل الزواج من النساء الجميلات بدون ذكاء..

وكان قد أعد سؤالا في الذكاء يطرحه على كل فتاة تعجبه فإن أخطأت الإجابة تركها.. وأميمة حين التقى بها امرؤ القيس لم يتركها إلا بعد أن طرح عليها سؤاله وهو ما ثمانية وأربعة واثنين، فقالت أميمة: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة فاخلاف الناقة، وأما اثنان فثديا المرأة.. فما أن سمع امرؤ القيس ذلك الجواب حتى تعلق بها تعلق الولهان إذ هو في حاجة إلى أنيس يخفف عنه ما هو فيه من التنقل بين القبائل طلبا للعون لاسترداد ملك أبيه.. وفتاة كهذه يركن إليها تسليه وتمنيه وتحمل عنه بعضا من الهموم وتشاركه في الآراء وتنيره إلى سواء السبيل حين يتوقف عقله

المجهد.. فما كان منه إلا أن خطبها إلى أبيها فوافق ذلك الوالد.. لكن الفتاة اشترطت على امرىء القيس شروطا أولها أن تسأله هوثلاث خصال وأن يسوق لها مائة من الابل وعشر وصائف وثلاث أفراس...

فأجاب امرؤ القيس موافقا موافقا، وافترقا.. وكما يفعل الخطيب أثناء فترة الخطبة أرسل امرؤ القيس إلى فتاته بهدايا مع غلام له أرسل نحيا من سمن ونحيا من عسل وحلة من عصب غطاء للرأس، لكن الغلام أراد أن يتباهي بما يحمل أمام قوم صادفهم على ماء فنشر الحلة فانشقت وأطعم القوم من النحيين فنقصا.. وسار بعد ذلك ودفع بالهدايا إلى الفتاة.. أميمة وحين هم بالعودة قالت له: قل لمولاك إن أبي ذهب يقربُ بعيداً و يبعدُ قريباً وإن أمي ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخي يرعى الشمس وأن سماء كم انشقت وأن وعائيكما نضبا..

فقدم الغلام على امرىء القيس وأخبره بقولها فقال امرؤ القيس إن أباها ذهب يحالف قوم غير قومه وأن أمها ذهبت تقابل امرأة نفساء وأن أخاها في سرح له يرعاه وأما انشقاق السماء فهذا يعني أن البرد قد انشق وأن نضب الوعاء يعني أن النحيين قد نقصا فماذا حدث يا غلام؟ فما كان من الغلام إلا أن أخبره بالحقيقة معترفا بتفاصيل ما حدث له..

دفع امرؤ القيس هذا الموقف إلى القيام بما التزم به فساق لها مائة من الإبل وخرج هو وغلامه، لكن ذلك الغلام طمعا في الفتاة قذف بامرىء القيس في جوف بئر وذهب بالإبل إلى الفتاة، أما امرىء القيس فقد مر عليه قوم وأخرجوه من البئر فلحق بمنزل الفتاة، وحين علمت أنه قد جاء أرسلت إليه قائلة هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث.. فقال لها: سلي عما شئت، فقالت: مم يختلج كشحاك؟ قال: للبس الحبرات.. قالت: مم يختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطيات، فاكتفت؛ وقالت: هذا زوجي فتزوجها، هذه الرواية التي تناقلتها كتب الأدب عن أميمة أم جندب وزواجها من امرىء القيس..

هو وغلامه، لكن ذلك الغلام طمعا في الفتاة قذف بامرىء القيس فقد مر عليه قوم وأخرجوه من البئر فلحق بمنزل الفتاة، وحين علمت أنه قد جاء أرسلت إليه قائلة هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث.. فقال لها: سلي عما شئت، فقالت: مم يختلج

كشحاك؟ قال: للبس الحبرات.. قالت: مم يختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطيات، فاكتفت. وقالت: هذا زوجي فتزوجها، هذه الرواية التي تناقلتها كتب الأدب عن أميمة أم جندب وزواجها من امرىء القيس..

وقد تكون مما قد دخلت عليها من الاضافات خاصة وأن امرأ القيس لم يتعرض لها بالتفصيل في شعره ولكن أوردها في بيت واحد بشكل مقتضب وغامض وذلك حين قال:

ألا ليت شعري كيف حادث وصلها
وكيـــف تراعـــى وصلـــة المتغيـــب

فهو هنا يتعرض للحادث ولكن لا ندري أهو حادث مقابلتها أول مرة أم حادث سقوطه في البئر.. على أية حال إن هذا البيت يؤكد أن هناك حادثا.. يقربنا من تصديق الرواية..

أميمة:

أما كون اسمها أميمة فهو أيضا قد تأكدنا منه من ذكر امرؤ القيس لذلك الإسم وهوبصدد الحديث عنها فهوسماها في أول القصيدة أم جندب حين قال:

خـليـــلي مـــرا بي على أم جندب
نـقضي لـبـانات الفــؤاد المعــذب

وسماها أميمة حين قال:

أقـامـت على مـا بـيـنـنـا مـن مودة
أمـيـمـة أم صـارت لـقـول المخبب

أميمة الناقدة:

وأميمة هذه هى ابنة عم علقمة بن عبدة التميمي والمسمى بعلقمة الفحل.. وقد جاءهما زائرا في أحد الأيام وحين تذاكرا الشعر هو وامرىء القيس، قال امرىء القيس: أنا أشعر منك، فقال علقمة: بل أنا أشعر منك. فقال امرؤ القيس: تفصل في هذا أم جندب.

فأم جندب أو أميمة هى ناقدة في نظر امرؤ القيس إذاً وأنه ما كان ليحكّمها في

الفصل بينه وبين علقمة لولا درايته المسبقة بقدرتها ولولا إدراكه بتمكنها من نقد الشعر..

ولعل هذا قد أتى من معاشرته لها وإبداء رأيها في كثير من الشعر الذي قاله أو ذكره لها.

ثم إن علقمة الفحل أيضا قد وافق على ذلك وكأنه يدرك ما لها من معرفة بالشعر بل كيف وهوابن عم لها.. فهي إذاً ناقدة في علم ومعرفة شاعرين فحلين من شعراء الجاهلية..

نقد أميمة:

من كل النقد الذي قالته أميمة وصلنا نقدها لقصيدة امرىء القيس التي مطلعها:

خليـــلي مرا بـي على أم جـنـدب
نقضي لبانـــات الفـــؤاد المعذب

وهذه القصيدة قالها امرؤ القيس في الناقدة ذاتها، ولكنها مع ذلك نقدتها وهى توازن بينها وبين قصيدة علقمة الفحل التي مطلعها:

ذهبت من الهجران في كل مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

وإني أكاد أجزم أن القصيدة هذه أيضا قالها علقمة في أميمة أو أم جندب، ولكنه لم يستطع أن يذكر اسمها فيها واكتفى بالعتاب في مطلع القصيدة، العتاب المبهم..

إن أميمة الجميلة الذكية التي يقول امرؤ القيس فيها:

ألـم تـريـانـي كـلـمـا جئت طارقا
وجدت بـهـا طـيـبـــا ولما تطيب

هذه الفتاة قد سلبت لبي الشاعرين فاحتكما إليها في قصيدتين من أجود قصائدهما..

الأولى: خليـــلي مـــرا بي على أم جندب
نـقـض لـبانـــات الفـــؤاد المعذب

والأخرى: ذهبت من الهجران في غير مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

وأول ما يطالعنا في نقدها أنها تجنبت الجانب الغزلي في القصيدتين ويمكن اعتبار تجنبها ذلك رضاء تام عن مضمون الجانب الغزلي لكلا الشاعرين إذ هى لم تتعرض لأى منهما سواء في مضمون ذلك الجانب أوفي شكله، ولكنهاتعرضت لجانب الوصف المعلق بفرس امرىء القيس، وسنتعرض لهذا بعد قليل..

منهج أميمة:

أول ما يطالعنا في منهجها إذا كان لنا أن نقول ذلك أنها اتخذت المنهج المقارن في هذا النقد الذي وصلنا عنها على كل حال ربما انتهجت منهجا آخر حين لم تكن بصدد المقارنة وإنما التقويم.. وفي منهجها المقارن أخذت بمفهوم أكذب الشعر أعذبه.. لأننا نعرف جميعا أن الخيل مهما كانت كريمة فإنها لا تنطلق كالريح بدون زجر..

لكن علقمة الفحل كسب أميمة حين قال عن فرسه:

وأقبل يهوى ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

فهو لم يقل بأن فرسه انطلق كالريح فقط ولكنه كذب حين قال إن ذلك قد تم وهو ثان من عنانه أي شادا عنانه..

أما امرؤ القيس الذي كان صادقا في شعره كما أعتقد فقد وصف فرسه بأنها سريعة لكنه قال: وللساق الهوب وللسوط درة وللزجر منه وقع أهوج منعب..

وامرؤ القيس بهذا التصو ير يعطينا صورة بانورامية لفارس حقيقي يمكن أن نراه في كل زمان وتعكسه لنا أندية الفروسية اليوم فكلنا قد رأى أن الخيل في السباق تحتاج فعلا إلى الهوب الساق ودرة السوط والزجر حتى تستطيع أن تواصل جريها..

لكن صدق الشاعر لم يرق للناقدة واعتبرت أن ذلك عيبا الحقة امرؤ القيس بفرسه أو هو عيب في فرس لا تستحق التمجيد لكن امرأ القيس لم يرقه ذلك النقد فهو نقد غير موضوعي بمعنى أن أميمة فضلت الكذب على الحقيقة ربما علمها بأن علقمة

يكذب وأن امرأ القيس صادق فيما ذهب إليه..

ولهذا حاورها وحاورته.. حاورها قائلا: بم فضلته عليّ؟!

قالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك، قال: وبماذا؟..

قالت: سمعتك زجرت وحركت وهو قولك:

وللساق الهوب وللسوط درة
وللزجر منه وقع أهوج متعب

أما علقمة فقال:

وأقبل يهوى ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

إن أميمة وما ذهبت إليه أيدها فيه بعض النقاد في عصور لاحقة فها هو أبوهلال الحسن بن عبدالله سهل العسكري صاحب كتاب الصناعتين يقول (ص ٨٠٠) ومما أخذ على امرىء القيس قوله:

فللسوط الهوب وللساق درة
وللزجر منه وقع أهوج متعب

هكذا.. فلو وصف أخس حمار وأضعفه مازاد على ذلك لكن العسكري يعود فيمدح امرأ القيس في هذا البيت.. على سابح يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كزولا وان و يقول: وما سمعت أجود ولا أبلغ من قوله أفانين جري.. ثم أبدى ما ذهبت إليه أم جندب بالنسبة لبيت علقمة و كرر قولها دون إضافة من عنده.. ولكن دون ذكر اسمها، وأبوهلال من نقاد القرن الرابع الهجري وقد نأتي إليهم فيما بعد..

ننتهي إلى القول أن أم جندب أو أميمة وجدت في مراحل لاحقة من أيدها في نقدها الذي ذهبت إليه ولكنها في حينه خسرت زوجها الذي طلقها لتفضيل شعر علقمة على شعره وقيل إن علقمة تزوجها فيما بعد وسمى لذلك علقمة الفحل..

النابغة الذبياني

من هو النابغة الذبياني:

هو «زياد بن معاوية» ويكني أبا أمامة أو أبا ثمامة شاعر فحل من شعراء الجاهلية ومن الذين فضلهم الحجازيون. وكان ناقدا خبيرا بالشعر والشعراء ضربوا له الادم في سوق عكاظ..

«والنابغة» كان شاعرا متحديا يصل تحديه ذلك إلى النقد الذي كان يعشقه كما يبدو. وتدلنا هذه الرواية على الطريقة التي كان يتحدى بها الشعراء...

روى الزبير بن بكار قال: قال أبوغزية قال حسان بن ثابت قدم النابغة المدينة فدخل السوق «المناخه» فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه ثم اعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول:

عرفت منازلا بعريتنات فأعلى ... الجزع للحي المبين

فقلت هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافية منكرة:

فمازال ينشد حتى أتى على آخرها ثم قال ألا رجل ينشد؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس وأنشد قصيدته:

أتعرف رسما كاطراد المذاهب ... لعمرة وحشا غير موقف راكب

والتي يقول فيها:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا ... كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

وهذه القصيدة هى التي استنشدها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أحد مجالس الخزارجه بالمدينة وحين سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صدق الشاعر فيما قال شهد له ثابت بن قيس بن شماس بالصدق.

ونعود إلى الرواية ما أن فرغ قيس بن الخطيم من قصيدته حتى قال له النابغة: «أنت أشعر الناس يا ابن أخي»، قال حسان فدخلني منه ووجدت في نفسي القوة عليهما فتقدمت فجلست بين يديه يعني النابغة فقال: «انشد فأنت شاعر» قال وكان يعرفني قبل ذلك فأنشدته فقال: «أنت أشعر الناس».

تهمنا من هذه الرواية كيف كان النابغة يستثير الشعراء ليسمعهم ومن ثم يصدر أحكامه النقدية.

ونحن إذا تأملنا تلك الرواية، علمنا إذاً كيف كانت هى عليه مجالس النقد، ثم أنت إذا تخيلت السوق بالمدينة، حين كان على حاله حتى القريب، لأمكنك أن تتصور الجمع من رواد السوق الذين حلقوا حول هؤلاء الشعراء، وهم يلقون قصائدهم، وقد جثا على ركبتيه النابغة واعتمد على عصاه ينشد و ينتقد ما يسمعه من شعر، لقد صورت الرواية لوحة بديعة حدثتنا هى من تلقاء ذاتها عن المضمون، كما عكست لنا عمق حب أصحاب ذلك الزمان للشعر ونقده، وكيف أنهم لم يكن يعوزهم مكان فهم في أي بقعة قادرون على جعلها منتدى يمارسون فيها قول الشعر ونقده.

منهج النابغة:

كان النابغة بحسه الشعري قادرا على التمييز بين جيد الشعر ورديئه، ولم يكن حسه الشعري قاصرا على إدراكه للوزن والقافية، مثله مثل أي متذوق في ذلك العصر، ولكنه أضاف إلى ذلك بعدا ثالثا جعله مميزا عن غيره، ألا وهو إدراكه لضرورة توافر الحس الجمالي في الألفاظ..

ولم يكن كل كلام موزون مقفى شعرا في نظر النابغة كما قرر ذلك علماء اللغة فيما بعد، كان النابغة أبعد من أولئك إدراكا لمعنى الشعر وأكثر منهم فهما لما يجب أن يكون عليه.

إن قصة النابغة مع حسان بن ثابت رضي الله عنه في سوق عكاظ تدلنا وتؤكد لنا هذا الذي نذهب إليه.. تلك القصة التي قال فيها الأعشى شعرا أمام النابغة، وقالت الخنساء شعرا، وقال حسان شعــرا ولم يعجب حسان رضي الله عنه ما ذهب إليه

النابغة في تقويمه للقصائد فقال له أنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك ، فما كان النابغة إلا أن نهض وأمسك بيد حسان وقال له يا ابن أخي لا أظنك قائل مثل قولي :

وإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

إن النابغة ضرب مثلا ببيته هذا الذي يستحق لوحده بحثا علميا موسعا . .

إن هذا البيت مادة دسمة لعلم النفس التحليلي وقدر كبير وافر لعلماء التاريخ والاجتماع والسياسة يمكنهم من خلاله معرفة حقائق لا يمكنهم الحصول عليها لو نقبوا أبد الدهر لقد ربط النابغة حركة الليل والنهار بحالته النفسية ليعبر عن كل هواجسه وإدراكه لتلك الهواجس والنتيجة الحتمية التي سيصل إليها الأمر رغم البون الشاسع الذي يفصله عن طالبيه لقد صور النابغة بلادة ذلك الزمن الذي عاش على الشائعات وأعطى أهم دقائق التاريخ والتركيب العضوي للمجتمع وكيفية العجز عن الهروب من واقع ذلك شأنه وتلك طبيعته .

كان النابغة يدرك كل أبعاده البعيدة منه والقريبة ، كان يدرك أن الشعر عليه أن يقول أشياء كثيرة بكلمات قليلة كلمات معطاة تلد دون توقف تعطيك من جناها ومن كل ما تحمله . . .

كان يدرك أن الشعر ليس من وظائفه أن يقرر الأشياء و يسميهابمسمياتهافي كل الأحيان ، ولكن عليه أن يختصر الأ زمنة والأمكنة وأن يجعلها من المعاني والتصو يرات صالحة لأن يرى الآخرون ومن لديهم القدرة على الرؤيا ما تعطيه وما تنشره من مدارك ومعاني وتخيلات . .

وإنك كالليل الذي هو مدركي ، بهذا الخطاب التأكيدي لضعف وسائل المطلوب اعترف النابغة بأنه مهما ابتعد أو هرب أو توارى فإن الإدراك حتمي ولا محالة إلا أن تتوقف حركة الليل والنهار وهذه مستحيلة . .

إن الشاعر ضرب مثلا ببيت غاية في الفلسفة وعلم الجمال . ولكن ما هو علم الجمال الذي طرقه النابغة وقبل ذلك ما هي تلك الفلسفة . .

إن من المعروف أن ما يقوله الشعر كثيراً دائماً وأبداً . . . ولكن ما يقوله الشعر لا

يحلل ولا ينظر إليه من الجوانب المختلفة التي يلزم النظر إليه من خلالها ..

نحن نتقبل الشعر ونطرب له لأنه يصادف هوى في أنفسنا نظن أن فيه حكمة أو تصوير بارع أو تحدث عما في قلوبنا من وله وهيام .. لكن كل هذه سطحيات الشعر وليست لبه ، إنها القشور الناعمة الطرية التي تجعلنا ننجذب أو لا ننجذب إليه .

فلسفة النابغة أن نتوقف قليلا وأن نتأمل قليلا وأن ندرك قليلا بعض ما يحيط بنا من ظروف وأحداث لنعذر بعدها الشاعر الذي يقر و يعترف .. الفلسفة كما أريد لها أن تكون نقد لمداركنا بمعنى أن نمسك تلك المدارك وأن نحللها لنعرف نقاط الضعف فيها ونقاط القوة ثم هل هى صحيحة أم خطأ .. ثم لماذا هى صحيحة ولماذا هى خطأ وهل النتائج التي نصل إليها معقولة ... إلخ ، أسئلة بلا حدود ..

النابغة تفلسف بينه و بين نفسه قبل أن يخرج عمله الشعري أو بيته الشعري ذلك حلل وتساءل وعرف وقرر، وإذا كانت تلك هى الفلسفة فإن علم الجمال هو بالضبط فلسفة الفنون والآداب فكل ما يقال عن الفلسفة وعالمها ينطبق على علم الجمال وعالمه بلا جدال علم الجمال ليس إلا فلسفة الآداب ذاتها .

ولم يكن النابغة في تخيره لحركة الكون وربطها بهواجس نفسه وفلسفته لظروفه ، وإعطاء صورة واضحة عن أحداث عصره ـــ والظروف التي كان يمر بها شخصيا إلا مبدعا فنيا استطاع بإدراكه الثاقب أن يجعل كل ذلك يأتي بشكل جمالي فني يأتي في عمل شعري تجسدت فيه أفكاره وأحاسيسه بشكل مكثف في ذلك البيت الذي أراد أن يقول بأنه ليس عملا سهلا ..

ما أظنك يا ابن أخي قائل مثل قولي :

وإنـك كـالليـــل الذي هو مدركي
وإن خـلـت أن المـنـتأى عنك واسع

إذاً منهج النابغة البحث عن الشعر بكل أبعاده ، البحث عن مضمون عميق وفلسفة وجمال ، لم يكن النابغة ينظر إلى العمل الشعري إلا من زاوية الشمولية وقلما كان يتعرض للجزئيات أو التفاصيل فهو لهذا كانت أحكامه عامة أيضا يستحسن شعر الشعراء إن كان كذلك و يصفه بأنه أشعر الجن والإنس ، أو أشعر الناس ، أو يقول

أنك شاعر، أو يا ابن أخي ما كان لك أن تقول كذا وكذا، ولو قلت كذا لكان أفضل، هكذا كان يرسل أحكامه..

وهي تؤكد لنا هذا الشاعر الناقد كان يقول أحكاما وهويعرف متطلبات عصره، منهج النابغة وهو الشاعر كان يعتمد على تحسس وجود الشعر فيما يسمع من الشعر كما يعرفه وكما يجب أن يكون عليه، أن نقده للخنساء يدلنا على أن الأعشى في نظر النابغة كان أشعر من الخنساء (لولا أن أبا بصير أسمعني شعرا لقلت أنك أشعر الجن والإنس.. أو الإنس والجن..)، فالخنساء في نظره أقل شاعرية من الأعشى، لأن الأعشى فحل من فحول الشعر ولأن شعره كان ممثلا دائما وأبدا بالضرورات اللازمة للشعر من حس شعري مدرك لذلك الحس، والنابغة الذبياني تصدر مكانة الناقد لادراك الجميع حينئذ أنه جدير وقدير على ذلك فهو أولا: من الشعراء الكمل وهذا اللفظ كان يطلق على الشعراء الذين يجيدون قول الشعر مع معرفتهم بالكتابة..

ثانيا: كان من الشعراء الفحول ومن أصحاب المعلقات.

ثالثا: كان خبيرا بمواطن الضعف والقوة في الشعر.

رابعا: كانت لديه ملكة النقد التي كانت تدفعه باستمرار لمجابهة شعراء آخرين والتصدي لهم ونقد أشعارهم.

ولا حاجة لتنفيذ كل هذا لكن نقول عن الكتابة بإيجاز، أن الكتابة وجدت منذ عهود جاهلية قديمة.. فهذا امرؤ القيس يذكر ذلك قائلا:

أتـت حـجج بعدي عليها فأصبحت
كخط زبــور في مصاحف رهبـــان

وفي لغة من لغات العرب الزبور هو النقش على الحجارة و يقول الحارث بن حلزه اليشكري.. مبينا أن حلف ذي المجاز قد دون، واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الأهواء، المهارق الكتب أو الصحيفة التي دونت بها شروط و بنود الحلف هذا وكانت الكتاتيب منتشرة بمكة والمدينة والطائف وأجزاء أخرى عديدة ــ وقد ذكر ــ لنا التاريخ أسماء من كانوا يدرسون بتلك الكتاتيب و يعلمون فيها القراءة والكتابة ومن هؤلاء عمرو بن

زراره وغيلان بن سلمه بن معتب (المحبر)..

ولقد جاء الإسلام وهناك عدد لا بأس به من الذين يكتبون و يقرأون بالعربية من الرجال والنساء.. فالنابغة كان يكتب وقد ورد اسمه ضمن قائمة شعراء الجاهلية الذين كانوا يكتبون ومنهم لبيد ابن ربيعة والزبرقان بن بدر من تميم وكعب بن زهير وغيرهم (الأغاني) وكان هناك عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون وواضح جدا أن الجاحظ وغيره ممن أنكروا هذه الحقيقة كان ينقصهم الدليل المادي فالقرآن الكريم أمر بكتابة الديون وقريش حين أنكرت الدعوة طالبت أن ينزل كتاب ليقرأوه، فالقراءة والكتابة كانت موجودة ومنتشرة بين سكان الحواضر..

صور من نقد النابغة:

ورد في هذا الصدد نوعان من النقد العام الذي كان النابغة يستخدمه بمقولة أنت شاعر أو أنت أشعر الناس، ونقد خاص لم يرد فيه إلا نص واحد وهو نقده لحسان بن ثابت رضي الله عنه حين تعرض فيه للغة..

أ ـ النقد العام:

ومن النقد العام نستفيد أن النابغة كان بعد سماعه لشعر الشاعر يقرر ما إذا كان ما سمعه شعراً أم لا. وعلى ضوء ذلك يلقي بحكمه.

وفي هذا النوع من النقد يمكن أن نستخلص أن النابغة كان يعقد مقارنة بين ما عرفه من الشعر و بين ما يسمعه فإن اقترب ما يسمعه من الشعر مع ما يعرفه عنه وما يجب أن يكون عليه ألقى بألقاب الشاعر على صاحب القول. و بطبيعة الحال نحن نسمي هذا النوع من النقد نقد مقارن، جوازا بسبب أن مقارنة الناقد ليست تامة بحيث نستطيع أن نعقد بأنفسنا وجها لتلك المقارنة وإنما هى مقارنة ناقصة أو خفية أو ضمنية تتم بين ما يعرفه الناقد من أصول وقواعد ونظريات في علم الجمال والصور الشعرية و بين ما يسمعه.

ولعل هذا يعود كما هو معروف إلى ضياع كثير مما قيل بسبب عدم التدوين وأغلب الظن أن النابغة مع ما كان يصدره من أحكام عامة كان يفند بعض الشيء ليقبل حكمه ولكن ما كان يقوله في هذا الخصوص مفقود بسبب عدم تواتر روايته أو

تدو ينه.. باستثناء رواية واحدة تأتي حالا. وفي هذا المعنى كانت أحكامه النقدية في شعر قيس والأعشى والخنساء.

ب: النقد الخاص:

ذكر لنا التاريخ أن «حسان بن ثابت» ــرضي الله عنهــ ألقى أمام «النابغة» قصيدته التي قال فيها:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فكان نقد النابغة لهذا البيت من مجموع أبيات القصيدة.. إذ قال له أقللت جفانك وأسيافك.

فالنابغة هنا نقد البيت بمفهومين لغوي فهمه أصحاب اللغة وقالوا إن أسيافا جمع أدنى العدد وسيوف جمع الكثرة وقالوا إن جفنات جمع أدنى العدد وجفان جمع الكثرة والمفهوم الثاني أن النابغة ما كان يريد منه وهو في موقف المفتخر أن يأتي بألفاظ تقلل من ذلك الفخر.

وأيا كان الأمر فالنابغة إذاً كان يتعرض في نقده للجزئيات من العمل الأدبي كما كان يتعرض لتفاصيل الجزئيات من نحو وصرف وجناس وطباق أو بديع كما سموه.

ونحن أمام هذا الذي روى عن نقد النابغة لا يسعنا إلا أن نقول بأنه إذاً لم يكن يصدر أحكاما عامة كما جاء ولكن كان يتعرض لتفاصيل دقيقة في بعض الأحيان لكنها لم ترد كلها.

أكفاء النابغة والرد على ذلك:

يقال أن النابغة و بشر بن حازم والقائل أبوعبيدة كانا يقو يان فاما النابغة فدخل يثرب فهابوه أن يقولوا له لحنت وأكفأت فدعوا قينة وأمروها أن تغني في شعره:

أمن آل ميسة رائح أو مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا

و بذاك خبرنا الغراب الأسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به
أن كان تفريق الأحبة في غد
إلى آخر هذه القصيدة الغنائية حقا . . .

وحين أدرك النابغة أنه قد أخطأ إذ رفع قافية الغراب الأسود وكسر بقية القوافي ، فطن ولم يعد(١) ، ورواية أخرى تقول :

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عمر بن شبه قال حدثنا خلاد الأ رقط وغيره من علمائنا قالوا كان النابغة يقول :

إن في شعري لعاهة ما أقف عليها فلما قدم المدينة غنى في شعره فلما سمع قوله وأتقتنا باليد و يكاد من اللطافة يعقد تبيين له وغيره وتشير هذه الرواية إلى المقطوعة الغنائية التالية :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليدي
بمخضب رخص كأن بنانه
عنم على أغصانه لم يعقد

إن هاتين الروايتين قصدت أن تصل إلى هدف واحد وهو أن النابغة كان يقوي في شعره ونحن نلاحظ في الرواية الثانية أن راو يها حاول أن يضفي عليها الاسناد والراوي هو أحمد بن عبدالعزيز بعكس الرواية الأ ولى التي جاءت دون إسناد .

وأيا كان الأمر فإننا نجد أن القصد من ورائها اثبات أن النابغة الشاعر الفحل الذي ضر بوا له الادم في سوق عكاظ وحكموه في أشعار شعراء العرب أكفأ وأقوى . .

والمنطق يستدعي رفض الروايتين لأسباب منها أن النابغة كان بإمكانه أن يدرك ذلك الأقواء دون أن يغنى له في شعره لو أنه أعاد قراءة قصيدته على نفسه مشكلة معر بة مرة أخرى . .

ثانيا : كيف يمكن أن نفهم أن ناقدا له زمام النقد يقول إن في شعري لعاهة ما

---

(١) الأغاني ١١ ــ ٣٧٩٤ .

أقف عليها ؟! . .

والعاهة التي تحدث عنها الشاعر وذكرها في شعره في الأقواء وهى من أكثر العاهات بروزا على السطح في الشعر يستطيع أن يستدركها أو يعرفها أو يشخصها ، و بطبيعة الحال يستدعي هذا أن نرفض هذا الادعاء من الرواة كما نرفض أن يكون قد جاء على لسان النابغة القول « بأن شعري لفيه عاهة لا أقف عليها » . .

على أن بإمكاننا أن نعرف أن للنابغة في ذلك الزمن حساد بلا عدد . . فهم الذين أوشوا به عند النعمان . . وهم الذين تقولوا على لسانه شعرا لديه . . فطارده فترة من حياته كما أننا نجد أن هناك من أتوا بشعر على لسان النابغة ثم وصفوه ــ أي النابغة ــ بأوصاف بذيئة وردت في الأغاني وغيره من كتب التراث . . .

إذا النابغة كان مستهدفا في تلك الروايات وإذا كان هناك أقواء في إحدى قصائده في بيت واحد يتيم أو بيتين كما زعموا في قصيدة واحدة فمعنى هذا أن النابغة كان يسكنُ ولم يكن يعرب إعرابا كاملا . هذا إذا أخذنا في الاعتبار ما قالوه صحيحا رغم وضوح ادعاءاتهم ، و يروي أبوهلال العسكري في كتاب الصناعتين أن النابغة قال بعد أن عرف العاهة في شعره دخلت يثرب فوجدت في شعري صنعة فخرجت منها وأنا أشعر العرب ص ٥١ طبعة عيسى البابي الحلبي .

لكن أبا هلال لا ينسب هذا الكلام إلى قائل أولا يسنده وإنما هو خبر سمعه فرواه . .

ومصدر هذا الخبر هو بلا شك المصدر السابق . . الذي تناقلته كتب التراث من كتاب إلى كتاب ، طبقات الشعراء البيان والتبيين كتاب المعاني الكبير نقد الشعر لقدامة الموازنة للأمدى . . إلخ . . ومع ذلك فكل هذه الروايات لا تحط من قدر النابغة كشاعر أو كناقد . .

فكشاعر حين سمعت العرب بيته :

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث أي الرجال المهذب

قالوا عنه ليس لهذا البيت نظير في كلام العرب ومثله قوله :

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

أما كناقد فقد رأينا كيف كانوا يحتكمون إليه ، و يهمني من النابغة ، أن أذكر أنه أول شاعر ضربت له الادم في سوق عكاظ ليحكم بين الشعراء في شعرهم وهذه كانت ظاهرة سبقت بها العرب الأمم الأخرى.. فاليونانيون في أثينا وفي غيرها لم يجلسوا مجالس للنقد فلا أفلاطون ولا أرسطو جلسوا مجالس نقد للشعر أو غيره ولكنهم ألفوا كتبا وقاموا بتدريسها على تلاميذهم، ولا الصينيين وهم أقدم من الأثينيين في قول وجمع الشعر جلسوا للنقد وكنفشيوس حين تعرض لكتاب الأغاني الصيني هو في الحقيقة لم يتعرض له كناقد ولكنه مجده فأضفى عليه بذلك التمجيد صفة جعلت الناس يهتمون بتلك الأشعار ويحافظون عليها و يعيدوا تدوينها وهاتين الأمتين فقط هما اللتان وصلت إلينا منهما أشعارا وتاريخا يعود إلى ما قبل خمسمائة عام قبل الميلاد ، والصينيون أقدم تاريخا من الأثينيين لكننا لا نجد أن الصينيين أو الاغريق عقدوا أسواقا ونصبوا فيها حكاما للشعر كما فعلت العرب واهتمام العرب بذلك من دون سائر الأمم يؤكد أنهم كانوا قد دخلوا مرحلة حتمت عليهم الاهتمام بالشعر إذ قد أصبح ديوانهم بحق وأصبح عليهم تقويمه التقويم اللائق به واختيار من يكون ضليعا في ذلك وإذا علمنا أن النقاد كانوا موجودين في كل بيئة نمى وترعرع فيها الشعر لكن أولئك النقاد لم تصلنا أخبارهم كما يجب ، وأضرب مثلا على هذا ، هناك ناقد شاب لم يذكروا اسمه انبرى ينقد شعر الأخطل ، لا في قصيدة واحدة ، ولكن في قصائد متعددة ومن بعض ما قال وهو يتحدث إلى الأخطل :

أردت أن تمدح سماكا الأسدى فهجوته

فقلت :
نعم المجير سماكا من بني أسد
بألطف إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه ميتا وأنبؤه
فاليوم طير عن أثوابه الشرر

وأردت أن تهجو سويد بن منجون فمدحته وقلت :

وما جـزع سـوء خرب السوس جوفه
بمـا حملتـــــه وائـــــل بمـطيـــق

فأعطيته الرياسة على وائل وقدره دون ذلك ثم أردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلي وأن تصغر من شأنه وتضع منه فقلت :

وسـود حـاتمـا أن لـيـس فـيـهـا
إذا مـــا أوقـــد الـــنـيـران نـــار
فـأعـطيـتـه الـسؤدد في الجـزيـرة
وأهـلـهـا ومـنـعـتـه مـا لا يـضـره (١)

وذلك نموذج جيد لنقد جيد من شاب أسقط التاريخ اسمه في عصر التدو ين والاهتمام بالكتابة فما بالنا بالعصر الجاهلي الذي كان التدو ين فيه قليلا أو نادرا ، فالنقد إذاً في العصر الجاهلي كان منتشرا وكان هناك نقاد لم يكن النابغة إلا أحدهم ولكنه ربما لمكانته في الشعر وتمكنه منه أعطى الرياسة فيه ، ولا يضير النابغة أن يسجل التاريخ ضده أقواء أو أكفاء أو سناد لكن كل ذلك اقتصر على بيت واحد يتيم .. في قصيدة واحدة يتيمة إذا صح ما قالوه ..



---

(١) الصناعتين أبو هلال العسكري ــ ٩٢ .



طرفة بن العبد

من هو طرفة بن العبد ؟

لم يختلف اثنان في أن طرفة بن العبد الشاب الذي لقى حتفه لإصراره على عدم فتح رسالة النعمان إلى عامله في البحرين ثقة منه في أن النعمان لن يغدر به هذا الشاعر كان من الشعراء الفحول في الجاهلية وأنه ملأ الصحراء رواءً بقصائده الرائعة المطولة والقصيرة . ومنها تلك التي بدأها لأ ول مرة بمقارنة عجيبة بين أطلال و بقايا وشم يلوح على ظاهر اليد «لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد» ، وطرفة استهوى شعره الكثيرين من دارسي الشعر وأعجبوا به أيما إعجاب حتى أن الأمر وصل إلى العصر الحديث لنرى كتابا وجوديين اعتبروا طرفة شاعرا وجوديا ، ورأوا أنه استطاع أن يقيم مذهبا وجوديا ذاتياً ، وموقفه الذاتي مع جوهر الوجود النفسي في المرحلة التي كان يمر بها ، و بالرغم من اعتراضنا على هذا التخريج ، لأن هذه الصفة أو الحالة هي حالة كل الشعراء في كل الأ زمنة ، ولولاها لما قالوا شعرا لكننا لا يمكن أن نصفهم بأنهم وجوديون .

لقد جعلوا طرفة وجوديا قبل وجود الوجودية وهم أرادوا أن يكسبوا شاعرا فحلا من عصر قديم على كل حال لقد استطاع هذا الشاعر الشاب أن يعطينا فلسفة متكاملة منبثقة عن نظرته للحياة وأورد في شعره لنا آراءه بصراحة متناهية وفتح قلبه لنقرأ مباشرة مكنون ذلك القلب وكأنه كان يلاحق الزمن ليقول كل ما لديه قبل أن تقف به الأ يام بلا حراك . .

مات طرفة وعمره ستة وعشرون عاما رواية عن أخته الخرنق التي رثته ببيتين من الشعر فقالت فيها :

عددنا له ستا وعشرين حجة
فلما توفاها استوى سيداً فخماً

فـجـعـنـا بـه لمـا رجونـا ايابـه
على كـل حـال لا ولـيـدا ولا قـحما

أما ولادته فقد كانت في البحرين من أبو ين فقيرين وسرعان ما أصبح يتيما بموت والده فانتقل ضار با في الصحاري ماخرا مياه الخليج على ظهور السفن، ولقد أعطته تجر بته هذه مع دقة ملاحظته قدرة هائلة على الوصف والإبداع فيه ونحن يهمنا من طرفة هنا ذلك الشاب الناقد الذي لم يلتمس طريق الشعر فقط ولكنه تلمس طريق النقد أيضا.

نقد «طرفة»:

تقف الرو يات عند نقد «طرفة» لخاله المتلمس فقط في بيته الذي قال فيه:

وقـد أتـنـاسى الهـم عـنـد احـتـضاره بـنـاج عـلـيـه الصيعـرية مكدم

فقال طرفة: «استنوق الجمل» وذلك لأن الصيعرية علامة أو سمة توضح في عنق الناقة لا الجمل وقد اختلف في هذا، فهناك من قالوا إن أهل الجنوب كانوا يوسمون النوق فقط بنفس تلك العلامة في ذلك الزمن، وهم من أرادوا أن يبطلوا نقد طرفة بن العبد، أما أبوعبيدة فقد قال: «إن الصيعرية سمة في عنق البعير». ولا أظن أن طرفة بنقده هذا، كان يقصد أكثر من أن يلتزم الشاعر بدقائق الواقع..

و يرى الدكتور عبدالرحمن عثمان في كتابه «مذاهب النقد وقضاياه» (طبعة ١٩٧٥ مطابع شركة الاعلانات الشرقية ص ٢١٢) أن نقد طرفة يتدرج تحت ما أسماه بالنقد اللغوي لكن نلاحظ أن هذا التخريج غير صحيح فلم يخطىء المتلمس في اللغة وإنما أخطأ في الواقع أو هو لم يخطىء إذا أخذنا بقول أبي عبيدة إنما انصب نقد طرفة على واقع الحال استخدام الحقيقة على غير حالها، فواقعية طرفة إذاً جاءت من التزامه بدقائق الأمور واستخدامها في شعره ومن هنا لم يرض بقول المتلمس فقال كلمته المشهورة التي ذهبت مثلا «استنوق الجمل».. لكننا مع ذلك لا يمكن أن ننسى أن طرفة بن العبد نفسه أعجب فيما بعد بما ذهب إليه المتلمس في كيفية تناسي الهموم بالانطلاق بعيدا على ظهور جمالهم أو نوقهم فأخذ نفس المعنى وصاغه صياغة خاصة حين قال:

وإني لأجلو الهم حين احتضاره
بعرجاء مرقال تروح وتغتدي

ولقد ورد هذا البيت في أجمل مطولة من شعر طرفة وهذه المطولة قالها بعد تلك الحادثة النقدية لأقبلها ونفس هذا التخريج قد ارتآه أيضا الدكتور عبدالرحمن عثمان ص ٢١٣..

إن «طرفة» بنقده هذا وهو النموذج الوحيد الذي وصل إلينا حتى الآن يضع بعدا جديدا في النقد الجاهلي بحيث إذا جمعنا كل تلك الأبعاد اتضح لنا أنه نقد لا يقل تكاملا عن نقد عصور لاحقة عليه أو نقد أمم من غير العرب سابقة عليه.

وهذا البعد هو رفض اللاواقعية في الشعر حتى ولو كانت بسبب خطأ بسيط بل إننا نجد «طرفة» يرفض اللاواقعية في حياته الخاصة، و يدخل في شقاق مع أخيه وابن عمه اللذين ظلا يلومانه و يقرعانه على سلوكه الذي ارتآه وأبى أن يسلك غيره حتى أفرد أفراد البعير المعبد.

فأخاه قرط بن معبد واخال أن طرفة سماه بن معبد بدلا من العبد التزاما بالقافية هو حيث يقول:

فمالي أراني وابن عمي مالكا ... متى أدن منه ينأ عني و يبعد
يلوم وما أدري علام يلومني ... كما لامني في الحي قرط بن معبد

و يؤكد هذا أنه طلب من أخته إذا مات أن تنعيه بما هو أهله وسماها أيضا بابنة معبد، يقول:

فإن مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي على الجيب يا ابنة معبد

ورغم أن «الخرنق» هى أخت طرفة من أمه إلا أنه نسبها إلى أبيه وهى بنت بدر بن هفان بن قيس ولها ديوان جمعه «أبوعمرو بن العلاء»، وكانت تحب طرفة وتلوذ إليه في الملمات خاصة في علاقتها مع زوجها التي لم تكن جيدة حتى أن طرفة هجا زوجها «بشر بن عمرو بن مرشد»، وهذه العلاقة الأخوية الحميمة هى التي دعته أن يطلب منها أن تشق عليه الجيب والخرنق هى المرأة العربية الأولى التي وجهت رسالة شعرية إلى «عمرو بن هند» فيها هجاء وذلك بعد أن طرد عشيرتها من أرضها قالت

فيها :

ألا مــن مــبــلـغ عــمـرو بـن هــنـد
وقــد لا تــعــدم الحـسـنـــــاء ذامـا

إلى أن تقول : ألـســت تـرى الـقـطـــا متواتـــرات
ولـو تـرك الـقـطـــا لـيـــلا لناما

منهج طرفة :

ومن خلال التزام طرفة بمنهجه في شعره نجد أنه يطلب ذلك المنهج فهو دقيق واقعي يسمي الأشياء بأسمائها يذكر الحقيقة حتى على نفسه لا يبالي بعيب لا يراه كذلك ونحن نعتقد أن ما قاله طرفة في المتلمس ليس هو كل ما قاله في النقد، لكن ذلك هو كل ما وصل إلينا .

ولا أشك أن السلوك الذي سلكه في حينه كان من الضروري أن يجمعه بفتيان تناولوا الشعر في مجالا تهم إلقاءً ونقدا ومنهم خاله المتلمس وأن طرفة لابد وأن أدلى بدلوه في كثير مما قيل . على أية حال لقد عد طرفة من نقاد الجاهلية . ولعل الأ يام تثبت فيما بعد أن ذلك النقد ليس هو كل النقد الذي قاله فالتراث حتى الآن لم يفض مكنونه لكن الأ يام كفيلة بذلك .

ومع ذلك فإن اعتبار طرفة ناقداً ليس كثير عليه ، فهو الشاعر الفحل الذي خبر الشعر وخبر اللغة وطوعها لتتجاوب مع أحاسيسه البشرية وتنقلها إلى الآخرين . وإنسان تلك قدراته قمين بأن يصحح أخطاء الآخرين و يدلهم على مواقع الهنات في أعمالهم الأدبية . وإذا كان طرفة لم تعكس لنا كل أعماله النقدية أو جانبا معقولا منها ، فإننا نستطيع من خلال أعماله هو الشعرية أن ندرك مدى إلمامه بأصول الشعر العربي وتكامل مفهومه عنه ودوره في الحياة ، التي كانوا يعيشونها ، وإنسان هذه هي إمكاناته بلا جدال قال نقداً متكاملا جيدا أكثر بكثير مما وصلنا . وإذا كنا نعتقد أن من الخطأ الإقرار بأن ما وصلنا من أعمال عن العصر الجاهلي هى كل شيء ، فإننا إذاً في انتظار ما ستكتشفه الأ يام خاصة وأن حملة مكثفة تستهدف الوصول إلى تلك الغاية ، آخذة دورها الآن ولعل طرفة بن العبد أحد تلك الاستكشافات التي ستأتي بها الأ يام .

النقد في فجر الإسلام

تمهيد وروايات:

حين جاء الإسلام كانت العرب قد قطعت شوطا بعيدا في مضمار الشعر وأصبح لديهم الكثير من القصائد الشعرية والكثير من فحول الشعراء، وكان الشعر في ذلك الزمن يشكل المفهوم الأول للثقافة بحق فلقد كان هو ديوان العرب وكان هو علمهم الذي لا علم لهم سواه، أو لا علم يشغلهم كما شغلهم الشعر(١).

وقد استخدم الشعر في التلاحي بين المسلمين والمشركين باعتباره أفضل الوسائل المتوفرة آنذاك في الحرب الكلامية.

«فها هو النبي عليه الصلاة والسلام يقول لحسان بن ثابت أهجهم يعني قريشا فوالله لهجاؤك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام أهجهم ومعك جبريل روح القدس والق أبا بكر يعلمك الهنات(٢).

ومن هذه الرواية نجد توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام الصادق الأمين الذي يطلب أن يكون الهجاء لا هجاءً كذوبا بل هجاءً صادقا ليس به مبالغة أو افتراء الق أبا بكر يعلمك الهنات... فأبو بكر رضي الله عنه خبير بهنات قريش وهنات كل فرد من أفرادها وخاصة الزعماء في قريش... وروى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه، وبالرغم من تضعيف الرواية فإن في هذا ما يثبت قاعدة إسلامية نقدية ألا وهي اشتراط توافق القول مع الحق واجتناب الافتراء وهو ينطبق مع قوله عليه السلام لحسان الق أبابكر يعلمك الهنات، فالرسول عليه الصلاة والسلام بهذا يوضح أبعاد مفهوم الشعر في نظر الاسلام وضرورة التصاقه بالخير والحق و بعده عن الشر والباطل.. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قوله: «إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث

(١) الطبقات لابن سلام ٢٢.

(٢) الأغاني ٣ــ ١٣٥٢.

وطيب»([1]).

وهذه الرواية أيضا لا تخرج في مضمونها عن سابقتيها وإنما هى تتوافق معهما في ذلك المضمون.. كما أن هذه الروايات تتوافق مع المضمون العام للإسلام «إن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم»..

ولقد أنشد كعب بن مالك بن أبي كعب، رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي منها:

الأهل أتى غسان عنا ودوننا
من الأرض خرق غوله متنقع
فجالدنا عن جذمنا كل فخمة
مدربة فيها القوانس تلمع

فقال له رسول الله لا تقل عن جذمنا وقل عن ديننا... وأصبح كعب يفتخر قائلا ما أعان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا في شعره غيري..

ولقد تدل كثير من الروايات بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب سماع الشعر مع تمسكه بمبدأ أن يكون الشاعر صادقا، فلقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه الاخزرجي ثم استشهدهم قصيدة قيس بن الخطيم التي أولها:

أتعرف رسما كأطراد المذاهب
لعمرة وحشا غير موقف راكب

إلى أن بلغ:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا
كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فقال عليه السلام: هل كان كما ذكر فقال ثابت بن قيس بن شماسي والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلاله وملحفه مورسه فجالدنا كما ذكر([2]).

وهذه الرواية تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يعرف صدق الشاعر

(١) فضل الله الصمد ٢ـ ٣١٤ لفضل الله الجيلاني.

(٢) الأغاني ٣ـ ٨٤٣ لأ بي الفرج الأصفهاني.

وهل كان يذكر ما كان حقا أم أنه يبالغ و يكذب ، ولقد استنكر عليه السلام قول الرجل الذي حول معنى القصيدة التي أولها :

يـا أيـهـا الـرجـل المحـول رحـلـه
هـــلا نـزلـت بـــدارعبدالـــدار

فقال لأ بي بكر رضي الله عنه أهكذا قال الشاعر، قال : لا ، وأنشد القصيدة التي من أبياتها :

يـا أيـهـا الـرجـل المحـولـة رحـلـه
هـــلا نـزلـت بـدار عبد مـنـــاف
هبـلـتـك أمك لـونـزلـت بـرحلهم
مـنـعـــوك من عـدم ومـن إتـراف
الخـالـطـــين فـقـيـرهـم بـغـنـيـهــم
حـتـى يـعـــود فقيرهم كالـــكافي

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما وصف لي أعرابي قط فما أحببت أن أراه إلا عنترة العبسي .

وهذه شهادة لصدق ذلك الشاعر وكان عليه السلام ينشد بيته :

ولـقـد أبـيـت على الـطـوى وأظـلـه
حـتـــى أنـــال بـه كـريـم المـأكـل

والروايات عن موقف الرسول عليهالسلام لا حصر لها وكلها تؤكد قاعدة التصديق النقدية والحث على الفضيلة والخير وهذه القاعدة تفسير صادق لقوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » . . . التي نزلت في شعراء المشركين واستثنت الشعراء المسلمين الذين قال عنهم القرآن الكريم « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » . . . وقال عنهم الرسول عليه السلام ، هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل . . وقاعدة الصدق هذه من أهم القواعد الإسلامية في العلاقة بين العبد وربه وفي العلاقة بين العبد وغيره من البشر . .

فكأننا بهذا المفهوم نلتقي لأ ول مرة في تاريخ النقد بقاعدته الأخلاقية التي اعتبرها شرطا أساسيا لتصنيف خير الشعر من شره، ولأ ول مرة أيضا يصبح للشعر هذا المعنى الأخلاقي الذي يجب أن يلتزم به بعد أن كان يفحش في القول و يشط بعيدا عن الحق..

وإننا لنجد هذه القاعدة أصبحت هى محور النقد عند الغر بيين في القرنين التاسع عشر والعشرين بعد أن لمسوا أن عدم التمسك بالقواعد الأخلاقية في الفنون يؤدي إلى ظهور أدب فاحش لا يخدم المجتمعات بل يسيء إليها وأن هذا ليس من رسالة الأديب في شيء، والرسول عليه السلام لم يكتف بأن يجعل قاعدة الصدق هى محور النقد للشعر بل أيضا نجده قد أيد الاتجاه الفكري الداعي إلى الأخذ والتمسك بالحكمة بمعنى آخر كان يرى أن الحكمة في الشعر تخدم الغرض الأساسي ألا وهو الخير، فها هو عليه السلام يقول للنابغة الجعدي لا يفضض الله فاك بعد أن أنشده قصيدته التي جاء فيها:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فكل ما هو خير هو جيد ومطلوب ومرغوب في الشعر، إذاً فالصدق محور والحض على فعل الخير محور آخر من محاور النقد الإسلامي..

وهاتان قاعدتان لم يسبق اليهما النقد العالمي من قبل حتى أرسطوطاليس حين تعرض للنقد لم يوضح المطلب الأخلاقي، واكتفي بذكر ضرورة التمسك بالقيم.. و بهذا يصبح النقد لأ ول مرة مرتكزا على دعامتين أخلاقيتين واضحتين وضوحا بينا، ولا غرابة في ذلك فإن النقد هنا يرسي دعائمه النبي صلي الله عليه وسلم والذي لا ينطق عن الهوى..

ها هو عليه الصلاة والسلام لا يكتفي بالعفو عن كعب بن زهير بل يمنحه بردته تكريما له على قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم أثرها لم يفد مكبول

والتي يقول فيها:

أنبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة
القرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة فلم
أذنب ولو كثرت في الأقاويل

وقال الشريد بن سويد الثقفي استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم شعر أمية ابن الصلت فأنشدته فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يقول هيه هيه حتى أنشدته مائة قافية[1].

وأمية بن الصلت هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، آمن شعره وكفر قلبه، والرسول عليه السلام بهذا لم يستنكف من سماع شعر غير المسلمين وها هو يقول لعائشة رضي الله عنها ردي على قول اليهودي قاتله الله لقد أتاني جبريل برسالة من ربي أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعه فلم يجد له إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كفاه، ومن شعر اليهودي هذين البيتين:

أرفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه
يوما فتدركه العواقب قد نمى
يجزيك أو يثني عليك وأن من
أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ولقد اختلف في هذا اليهودي فعن محمد بن العباسي اليزيدي أنه لغريض اليهودي وقالت عائشة رضي الله عنها أنه زهير بن حباب وصحته جناب[2]، وهناك اختلافات أخرى، ونستدل من هذا أن الشعر الجيد متى توفرت فيه الخصائص المطلوبة في النقد الإسلامي لا يحارب ولا يستنكر حتى لو كان من غير المسلمين طالما

---

(١) صحيح مسلم: ١١، ١٥.

(٢) الأغاني: ٩٦٣/ ٣.

ليس به مساس بالإسلام وطالما كان يحض على الفضيلة وفعل الخير، وحين نعود إلى القاعدة الأولى المتعلقة بالصدق نجد أن الأحاديث النبوية المتواترة كثيرة في هذا المعنى فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا . هذا الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ووصله البخاري ومسلم عن طريق الأعمش عن شفيق عن ابن مسعود[1] .

ولا أريد أن أستطرد في القيمة التي احتوى عليها الحديث فهي واضحة وجلية، ولقد حمل لواء النقد بعد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب والذي قيل إنه أنقد أهل زمانه ولم يشذ عن القاعدة الإسلامية الأساسية ألا وهى الصدق طلب الصدق في العمل الشعري، ها هو رضي الله عنه رواية عن ابن سلام مرفوعا إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال :

قال لي عمر بن الخطاب أنشدني لأشعر شعرائكم قلت من هو يا أمير المؤمنين قال : زهير قلت ولم كان كذلك قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، وهكذا يتمسك عمر بقاعدة الصدق، و يصنف الشعراء وفق تلك القاعدة فزهير عنده أفضل الشعراء لأنه إلى جانب عدم معاظلته بين الكلام لا يتتبع حوشية ويمدح الرجل بما فيه، وإذا نحن تتبعنا شعر زهير بن أبي سلمى قل إن نجد أنه قال مدحا مفرطا في أحد، بل كان يتوخى الصدق ولا يبالغ ويختار الألفاظ ذات الدلالة الواضحة التي لا تعطي أكثر مما فيها..

يتضح لنا من هذا أن الإسلام لم يحقر الشعر بل سانده وأيده وأنه حين تعرض للنقد جعل من دعائمه الصدق والحض على الفضيلة وأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسى تلك الدعائم النقدية فالشعر الصادق هو الشعر المفضل ولقد قيل في مراحل لاحقة أعذب الشعر أكذبه وهى دعوة مغرضة لأن الشعر الكاذب لابد وأن يكون ضعيفا مهلهلا ليس له أية روافد..

فالشعر الصادق لا يمكن أن يضاهيه الشعر الكاذب لأن هنات هذا الأخير كثيرة ولعل ظهور النظم في مراحل تالية وضعف الشعر كان بسبب الاعتقاد بأن أجمل الشعر

---

(١) تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك لجلال الدين السيوطي ٢٥٤/ ١ .

أكذبه..

والآن إذا أخذنا الصدق محورا من محاور النقد ثم أخذنا ما يسمى بالواقعية في المفاهيم الحديثة فإننا نجد أن الصدق أعمق من مفهوم الواقعية أو الفوتوغرافية. فالواقعية والفوتوغرافية تعكسان الحياة بخيرها وشرها وقد تعكسان الخير والشر لكن دون علاج لهذا الأخير وإنما لاثارة النفوس مما قد يؤدي ذلك إلى شر أفظع كما أنها حين تتعرضان لخير لا تحضان عليه وإنما تعالجان الأمر دون تدخل مباشر.

أما الصدق فهو يعني فيما يعني توخي الحق مع ذكر أبعاده ومعنى هذا تسبيب ما هو خير وتسبيب ما هو شر ليعرف المتلقي أن الأشياء لا تأتي عبثا وأن أسباب هذا وأسباب ذاك إنما هي من فعلنا أو فعل غيرنا وأننا حين نأتيها أو يأتيها غيرنا إنما ذلك لأسباب وأن النتائج ستعود على فاعلها إن خيرا وإن شرا.

وبهذا نجد أن الأمر يطرح كعلاج لا عرض كما تفعل الواقعية أو كما تفعل الفوتوغرافية وهذه الأخيرة مرحلة متطرفة من الواقعية.

إن الصدق المطلوب في العمل الفني أو الأدبي لا يعني أيضا أن يبعد المرء عن علاج الشر باعتباره ظاهرة من ظواهر المجتمعات أيا كانت... وهذا العلاج هو الهدف من مفهوم الصدق.



النقد في القرن الأول الهجري

«بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين ظهر عبدالملك بن مروان كما قد فاضت بذكره كتب الأدب رغم انشغاله بأمور الدولة ولكن ذلك لم يمنعه من ممارسة ما تمكن من نفسه من تذوق الشعر والبحث في علومه ومن ممارسة النقد وقبله كان هناك معاوية بن أبي سفيان كمتذوق للأدب وقبل معاوية كان علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه» .

عبدالملك بن مروان :

هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية و يكنى أبا الوليد... وولّي الخلافة عام خمسة وستين للهجرة ، كان من تولعه بتاريخ أمته أن كتب إلى أشخاص بأعينهم يستكتبهم التاريخ و يطلب منهم تفسير القرآن... وجمع الشعر.. فقد كتب إلى سعيد بن جبير يطلب تفسير القرآن واستكتب عروة بن الزبير عن الهجرة إلى الحبشة و وقعه بدر وخروج أبي سفيان(١) . وقد عني بالمعلقات عناية كبيرة ، وقيل إنه أثبت أربعة شعراء بعد أن طرح أربعة ممن جمع له شعرهم في المعلقات(٢) .. و يرى صاحب الأغاني أن عبدالملك بن مروان سأل عن ذي الأصبع العدواني وأخباره وأراد أن يسمع قصيدته عذير الحي التي جاء فيها :

وليس المرء في شيء
من الابرام والنقض
إذا ما أبرموا أمراً
له يقضي ولا يقضى
يقول اليوم أمضيه
ولا يملك ما يمضي
عذير الحي من عدوان

(١) الطبري : ١١٨٠ ، ١٢٨٤ ، ١٣٦٤/ ١ .
(٢) الخزانة : ١٢٤/ ١ .

كـانــــوا حيـــــة الأرض
بغـــى بعضهــم بعضـــا
فلــم يبقـــوا على بعــض

ولقد قال عن عروة بن الورد ما كنت أحب أحدا ولدني من العرب إلا عروة بن الورد ، لأنه القائل :

أقسم جسمي في جســوم كثيرة
وأحـســوا قـراح المـاء والماء بارد

وقال فيه أيضا من زعم أن حاتما يعني حاتم الطائي اسمح الناس فقد ظلم عروة ابن الورد وكان مجلس عبدالملك علم وأدب وكان بطبيعة الحال يتولى الأمور والمبادرة في ذلك المجلس ، أنشد مرة عبدالملك قول نصيب بن رباح :

أهيـم بـدعـد مـا حييت فإن أمت
فـوا حـزنـا مـن ذا يـهـيـم بها بعدي

قال أحد الحضور أساء القول ، قال عبدالملك فلو كنت قائلا ما كنت تقول :

قال : أهيـم بـدعـد مـا حييت فإن أمت
أوكـل بـدعـد مـن يـهـيم بها بعدي

قال عبدالملك : أنت والله أسوأ قولا ثم قال أنا فأقول :

أهيـم بـدعـد مـا حييت فإن أمت
فـلا صـلحـت دعد لذي خلة بعدي (١)

وأنشد بن قيس الرقيات في مجلس عبدالملك الذي قال فيه :

إن الحــوادث بـالمـديـنــة قــد
أوجـعـنــني وقرعــن مروتيـــه
وجـبـبـنــني جب السنـــام فلـم
يـتـركـن ريـشـــا في مناكبيـــه

(١) الصناعتين : ١٢٠ .

قال عبدالملك أحسنت إلا أنك خنثت قوافيك، وهو تخريج، جديد في النقد[1].

كان نصيب بن رباح الشاعر في حضرة عبدالملك بن مروان فقال له: أنشدني يا نصيب ما رثيت به أخي يعني عبدالعزيز بن مروان... فأنشده:

عرفت وجربت الأمور فما أرى
كماض تلاه الغابر المتأخر

إلى أن قال:

فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى
بصبر فمثلي عندما أشتد يصبر

قال عبدالملك ويحك يا نصيب أنا أحق منك بأخي وراح يبكي أخاه[2]، وكان عبدالملك قد قرر عدم السماح لجرير بالدخول عليه وكان قد أرسله الحجاج وأمر ابنه محمد بن الحجاج بصحبته إلى عبدالملك بن مروان.. وظل محمد يتشفع لجرير عند عبدالملك ردحا من الزمن.. فلما أزف رحيله قال جرير ان رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع مني ولم آخذ له جائزةٍ سقطت آخر الدهر ولست بارحا بابه أو يأذن لي في الإنشاد..

فأخبر محمد عبدالملك بذاك و بعد لأي اذن له.. فقال له قصيدته الحائية التي هى أتصحو أم فؤادك غير صاح إلى أن قال:

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

إلى أن قال:

تعزت أم حزرة ثم قالت
رأيت الموردين ذوي لقاح
تعلل وهى ساغبة بنيها
بأنفاس من الشبم القراح

فخرج جرير بعطايا لم يعهدها[3]، من هذا نستدل على أن عبدالملك كان ذواقة

(١) الصناعتين: ٤٧١.
(٢) الأغاني: ٣٦١/٣.
(٣) الأغاني: ٢٨١٣/٧.

للشعر محبا له بصناعته ومدركا لأ بعاده، تقول رواية عن جرير أنه أراد أن يفتخر فقال:

أن الـذي حـرم المـكـارم تـغـلـبـا
جـعـل الخـلافة والـنـبـوة فـيـنـا
مضر أبـي وأبـوالمـلوك فـهـل لـكـم
يـا آل تـغـلـب من أب كـأبـيـنـا
هـذا ابـن عـمـي في دمـشـق خـليفة
لـو شـئـت سـاقـكـم إلى قـطـيـنـا

قال عبدالملك لما سمع هذه الأ بيات لقد جعلني شرطيا له أما أنه لوقال:

هـذا ابـن عـمـي في دمـشـق خـليفة
لـو شـــاء سـاقـكـم إلى قـطـيـنـا

لسقتهم إليه...

وتدل هذه الرواية على دقة عبدالملك وحسن فهمه للشعر(١)..

نقد عبدالملك:

لم يكن النقد في هذا العهد كمثله في العهود السابقة يدون في صحائف.. ولكن كان يقال في جلسات التدارس والسمر ولهذا لا نجد نقدا تحليليا مفندا وإنما نجد شذرات هنا وهناك تقال عن شعر شاعر.. كما لم يكن ذلك النقد منصبا على أعمال الشاعر كلها ولكن كان ينصب على أبيات بعينها يقولها الناقد، وعبدالملك من هذا الصنف من النقاد بحكم زمنه، ولقد اعتبره القدامى ممن نقدوا الشعر وخاصة شعر كثير وشعر ابن قيس الرقيات..

ومن نقده: أن ابن قيس الرقيات واسمه عبيدالله ألقى أمامه قصيدة يمدحه فيها وهي:

عـادلـه مـن كـثـــيـرة الـطـــرب
فـعـيـنـــــــه بـالدمـــوع تنسكب
كـوفـيـــه نـــازح محلـتـهـــــا

(١) الأغاني: ٢٨٠٦/ ٧.

لا أمـــم دارهـــا ولا صقـــب

إلى أن قال: إن الأغـــــــر الـــذي أبـــوه
أبـوالـعـاصي عـلـيـه الوقار والحجب
يـعـتـــدل التـــاج فوق مفـــرقه
على جـبـــين كـأنـه الـذهـــب

ولم يرق المدح لعبدالملك فغضب وقال: لقد قلت في مصعب و يقصد مصعب بن الزبير...

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه وهو اعتدال التاج الخ...

وكان عبدالملك قد رأى فرقا شاسعا بين ما مدح به وما مدح الشاعر به مصعب وتجلى ذلك في أن مدح مصعب أعمق لأنه اختص بالنفس والعقل أما ما مدح به فهو مدح سطحي ووصف خارجي، ولقد تلقف النقاد بعد ذلك هذه المقارنة التي قال بها عبدالملك واعتبروها أحد عيوب الشعر في المدح و وجدوا أن عبدالملك قد نبه إلى عيب لم يكن معروفا في قواميس النقاد.

وقد يكون عبدالملك محقا فيما ذهب إليه ابن قيس الرقيات غير أننا نجد أنه كانت علاقته بمصعب أوثق وأبعد وحبه له كان أعمق بينما نجد عبدالملك قد حرم بن قيس الرقيات من عطاء المسلمين وإذا كان هذا وضعه فكيف يتسنى له أن يقول شعرا عميقا، إنه لا محالة ملتصق بالسطح رغم جمال مطلع القصيدة وأبيات عديدة منها.

لا علينا فكلاهما له عذره(١).

نقده لكثير عزة:

وكان عبدالملك معجبا بشعر كثير وكان يفضله على الكثير من الشعراء وكان يحتفظ بديـــوان خاص له أبدى عليه حرصا حتى أنه إذا أراد أن يدرس أولاده شعر كثير دفع بذلك الديوان إلى مؤدب ولده مختوما يرو يهم ما ورد به من شعر و يرده إليه(٢). سأل عبدالملك كثيرا عن أشعر الناس فقال كثير من يروي أمير المؤمنين

---

(١) الصناعتين ١٠٤ والأغاني: ١٧٢٠/ ٥.

(٢) الأغاني: ١٣٤٣/ ٩.

شعرهم قال عبدالملك أما أنك لمنهم وقال كثير لعبدالملك كيف ترى شعري قال أراه يسبق السحر و يغلب الشعر(١).

وله آراء كثيرة بهذا المعنى في شعر كثير، والملاحظ أن عبدالملك في نقده لم يكن يخرج عن كونه ذواقة للشعر لكن لا يمكن أن نقر بأنه كان ناقدا ذا منهج نقدي وإنما هو ناقد ضمن نقاد الشعر العربي الذين اعتمدوا على تذوقهم وفهمهم للشعر وصياغته، وهؤلاء كثيرون لا حصر لهم سنتجنب أغلبهم واخترنا عبدالملك نموذجا لهم ومن هؤلاء على سبيل المثال نقد الشعراء لبعضهم البعض كجرير والأخطل والفرزدق والكميت ونصيب وكثير وابن مقبل وابن عتيق وغيرهم، لكن لكثرة ما ورد عنه فإنه يمكن اعتباره أكثر اهتماما بتذوق الشعر ونقده وقد يكون منهم من هو أكثر اهتماما لكن لم يصلنا عنهم أي شيء سوى أقوال متفرقة، ويمكن القول إن عبدالملك قد ساعد في إظهار شعر جيد من أولئك الشعراء الذين اتصلوا به لعلمهم المسبق بأنه ذوّاقة للشعر مدرك لأبعاده مما جعلهم يثقفون شعرهم قبل إلقائه.



(١) الأغاني: ٣١٤٣/ ٩.

أبوعمرو بن العلاء
(٧٠هـ - ١٥٤هـ)

من هو أبوعمرو بن العلاء ؟ :

هو أبوعمرو ابن العلاء بن عمار ابن العريان الخزاعي يقول عنه الجاحظ فأما أبوعمرو فكان أعلم الناس بأمور العرب مع صحة سماع وصدق لسان وقال: حدثني الأصمعي قال جلست إلى أبي عمر وعشر حجج ما سمعته يحتج ببيت من الشعر غير جاهلي قال وقال مرة لقد كثر هذا المحدث يعني الشعر الحديث في زمنه وهو شعر جرير والفرزدق وقال إنه حسن حتى لهممت أن آمر فتياننا بروايته . .

وقال الجاحظ حدثني أبوعبيدة قال كان أبوعمرو أعلم الناس بالغريب والعربية و بالقرآن و بالشعر و بأيام العرب وأيام الناس .

وقرظه الفرزدق قائلا :

مــازلــت أفـتـح أبـوابـا وأغـلـقـهـا
حـتـى أتـيـت أبـا عـمـرو بـن عمار (١)

كان أبوعمرو بن العلاء أحد أربعة من علماء العرب الأوائل الذين يعود لهم الفضل في حفظ التراث الأدبي وروايته وهم أبوعمرو بن العلاء ـــ حماد الراوية خلف الأحمر والمفضل الضبي و يعتبرون الطبقة الأولى التي تبنت طبقة تالية لها استطاعت أن تنهج منهجا وهي طبقة الأصمعي وأبوعبيدة وغيرهما . . .

وأبوعمرو بن العلاء ، أحد نقاد العرب الأوائل الذين تقدموا إلى هذا الفن وقد أعدوا عدته لقد أتقن العربية وفهم غريبها وأخذ مباشرة عن أهلها ، وكان يجمع ما يسمع حتى انه قيل إن إحدى غرف منزله قد امتلأت من الكتب والأوراق حتى وصلت إلى السقف . . .

وهو ممن دونوا أشعار العرب وألقاها على تلاميذه فحفظت لنا من الضياع ، بل وهو

(١) البيان: ٣٢٠/١ .

القائل: «إن ما وصلكم من شعر العرب إنما هو القليل فقط»، ومعنى هذا أن شعراً كثيراً ضاع قبل أن يدون كما أن شعرا كثيرا ضاع بعد التدو ين، وأبوعمرو ابن العلاء من أوائل نقاد العرب الذين نظروا إلى عمل الشاعر نظرة كلية ثم أبدوا رأيهم فيه وهذا جدير بهم وقد اعتكفوا يجمعون و يدرسون ذلك الشعر بعد تدو ينه وهم أجدر الناس باعطاء حكم نقدي يمكن لأ ول مرة اعتباره صادرا من نقاد متخصصين..

من نقد أبي عمرو:

ولقد أتاحت ظروف هذه الطبقة الأ ولى من نقاد العرب في القرن الأ ول الهجري أن يبدأوا في تبو يب الشعر وتصنيفه، يقول أبوعمرو بن العلاء وهوبصدد تبيان أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب، إن أحسن شعر قيل قول دريد بن الصمة وأنشد يقول:

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى
مكان البكا لكن بنيت على الصبر

إلى أن قال:

يغار علينا واترين فيشتفي بنا
إن أصبنا أو نغير على وتر
بذلك قسمنا الدهر شطرين قسمة
فما ينقضي إلا ونحن على شطر (١)

ولقد قال أبوعمرو في شعر ذي الرمة حينما أراد أن يحكم عليه حكما شموليا أن شعر ذي الرمة نقط عروس تضمحل عما قليل، ولقد تلقفت الشعراء هذا من أبي عمرو وظلوا يرددونه ضد شعر ذي الرمة أو ذي الرمة نفسه فهذا جرير يقول نفس ما قال أبوعمرو العلاء وكان جرير والفرزدق كما تقول الروايات يحسدان ذي الرمة حتى أنهما اتفقا إذا سئلا عن ذي الرمة أن يقولا قولا واحدا، وصدف أن سئلا من أحد الخلفاء الأمو يين عن ذي الرمة فقالا أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره...

وسنرى أن كثيرا من النقاد اهتموا بذي الرمة ومنهم الأحمص وغيره بل أن جرير والفرزدق قالا أقوالا أخرى... فها هو جرير يقول: لم أتمن أن ينسب إلي شعر ذي الرمة إلا قوله:

---

(١) أغاني: ٣٤٦٩/ ١٠.

ما بال عينك منها الماء ينسكب
كأنه من كلى فرية سرب

وقال أبوعمرو بن العلاء في الأخطل لو أنه عاش يوما في الجاهلية لما قدمت عليه، أحدا وما فضلت عليه أحدا، و يروي أبوعبيدة عن يونس أنه قال عن عيسى بن عمر وابن اسحاق الحضرمي وأبي عمر والعلاء وعنبسة الفيل وميمون الأقرن وهؤلاء من خلطوا الكلام وغر بلوه واستخرجوا منه أحسنه..

إنهم كانوا يفضلون الأخطل على جرير والفرزدق، ولما قيل أن حماداً وجنادا لا يفضلانه وحماد هو حماد الراو ية وجناد هو جناد بن واصل الكوفي قال وما حماد وما جناد لا نحو يان ولا بدو يان ولا يبصران الكسور ولا يفصحان وأنا أحدثك عن من ماشوا الكلام وألحقوا السليم بالسليم والمضاعف بالمضاعف والمعتل بالمعتل والأجوف بالأجوف و بنات الياء بالياء و بنات الواو بالواو فما علم حماد وجناد؟ (1)..

إن أبا عمرو بن العلاء في نظر يونس إذا أقدر وأكبر من حماد، وقد يكون يونس منحازا إلى أبي عمرو لكنه رغم تحيزه يؤكد لنا أن أبا عمرو علامة يعرف النحو و يفهم لغة العرب وآدابها و يونس هو يونس بن حبيب...

منهج أبوعمرو بن العلاء:

نلاحظ أن أبا عمرو بن العلاء قد نظر إلى الشعر نظرة موضوعية وأدرك أن هذا العمل الفني يجب أن تكون له آثار مباشرة على النفس كما أنه لابد وأن يحتوي على قيم ذات دلالات عميقة..

ومن هنا تردد كثيرا في تدريس الشعر المحدث على أيامه وكان يرى أن الشعر هو ما قاله شعراء الجاهلية وأن ما عداه فهو سقط من الكلام يحتاج إلى تفكير ودراسة، لم يعلن عليه حربا ولكن أرجأ أمره ريثما يتمكن من جمع ما أوشك على الضياع وهو الشعر الجاهلي الذي كان يرى أنه مصدر أساسي من مصادر اللغة سواء في مفرادتها أو تركيبها..

ولهذا لم يكن يعتد ببيت شعر غير جاهلي وهو بصدد تدريس اللغة كان يلجأ إلى

---

(1) أغاني: ٣٠٢٩/٨.

الشعر الجاهلي ليؤكد صحة رأيه فيما ذهب إليه ..

وإذا علمنا أن أبا عمرو بن العلاء كان من أوائل من هيأوا لوجود مدرسة البصرة من النحويين أدركنا اهتمامه الشديد بأخذ اللغة من مصادرها ، قلنا إنه نظر إلى الشعر نظرة موضوعية وهذه النظرة هى التي دفعته إلى النظرة الشمولية لعمل الشاعر أو إلى النظرة الشمولية لأعمال شعراء متعددين في موضوع واحد...

فالنظرة الشمولية (تتيح إدراكا أوسع ومعرفة أشمل لا لتوجهات الشاعر فقط ولكن طريقة اختياره للألفاظ وتركيبها وكيفية انتقاء واختراع الصور ثم أثر كل ذلك على النفس أو العقل لقد فضل الأخطل على جرير والفرزدق بسبب تعدد مواضيع الأخطل وغزارة شعره.. وأثر ذلك على النفس هذا حينما التفت إلى الشعراء المحدثين في زمانه وقال عن ذي الرمة بأن شعره نقط عروس تضمحل بعد قليل ، فأثر شعر ذي الرمة أثر مؤقت لا يدوم طويلا لكنه لم يقل بأنه غير ذي تأثير...

أما شعر جرير والفرزدق فإنه رأى فيه فيما بعد أنه من القوة والتأثير ما حث نفسه على أن يفرد له جانبا من الدروس التي يلقيها على تلاميذه ، كان أبوعمرو بن العلاء بإمكانه أن يعطي نقدا أكثر غزارة لولا أن اهتمامه كان منصبا على الحفاظ على اللغة ولولا أنه زهد فيما بعد وترك لأصحاب الدنيا دنياهم...

ومع ذلك.. فإن ما قاله أبوعمرو.. يعد فتحا جديدا في عالم النقد ومسارا لمن جاء بعده ، وهو من أوائل من أدركوا الأثر النفسي للعمل الفني وحدث عنه .

حماد الراوية
توفي سنة ١٥٦ هـ

من هو حماد الراوية؟

هو حماد بن ميسرة، وقيل إنه حماد بن سابور، وهكذا اختلفوا في اسم أبيه ونسبه فسموه حماد الراوية، ولقد سأله الوليد بن يزيد عن سبب تسميته بالراوية، فقال: إني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به، وقال: إنني أستطيع أن أنشدك عن كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة طويلة، عدا المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام..

وقيل إن الوليد أراد امتحانه فيما قال فأنشد ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلين (١).

نشأة حماد:

نشأ حماد صعلوكا متشردا، وصاحب من أجل هذا اللصوص وكان يسطو معهم على أموال الناس في بادىء حياته، وفي أحد الأيام سطا على منزل رجل فوقع في يده شعر للأنصار، فأخذه وقرأه، و يبدو أنه كان شعر مواعظ، فتاب من ساعته واستقام و بدأ يجمع الشعر ويحفظه..

وربما لا تكون هذه الرواية صحيحة، ذلك أن حمادا الراوية واجه أعداء لا حصر لهم، طعنوا فيه كثيرا، وأساءوا إلى سمعته، وهذه الرواية عن ابن النطاح...

ها هو أبوعمرو الشيباني يقول: ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حماد إلا قدمه على نفسه، وما سألت حمادا عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه(٢).

ونحن نعلم أن أبا عمرو بن العلاء رجل فاضل ما كان يفعل ذلك لو أن حمادا

---

(١) أغاني: ٢١٥١/٦.

(٢) أغاني: ٢١٥٣/٦.

فاسقا كما تقول الروايات، وكان يؤخذ على حماد أنه يلحن، وهذا ما فعله يونس بن حبيب حينما رفض الأخذ برأيه، وقد برر حماد موقفه من اللحن حين قال: إننا نتحدث إلى العامة ونتكلم بكلامها، لكن لم ينكر أحد على حماد أنه راو ية، وأنه روى الكثير من الشعر...

وقد أرادوا الطعن في روايته للشعر فقالوا إنه كان يتزور على الشعراء، واخترعوا قصصا منها ما هي على لسان حماد نفسه في هذا الخصوص، وأغلب الظن أن هذا يعود إلى الحسد، فقد كسب حمادا من روايته للشعر أموالا طائلة — وكان الخلفاء من بني أمية يطلبونه ليرحل إليهم ولينشدهم ما يحفظ من الأشعار ثم يجزونه على ذلك...

وربما أوغر ذلك صدور بعض الناس، فدسوا عليه أن روايته كاذبة، وأنه كان يضيف من شعره إلى شعر أولئك الشعراء، ولو كان الأمر كذلك، أي لو أن حمادا كان قادرا على قول شعر جاهلي متين لا ندري ماذا كان يمنعه أن ينسب شعره إلى نفسه، و بالتالي يكون أفضل شعراء عصره وأقدرهم، و ينال على شعره ما كان سيفوق ما ناله من رواية الشعر..

من روايات حماد:

يقول حماد: صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الايوان الأحمر فرمى إليَّ كتابا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر..

أما بعد:

فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراو ية من يأتيك به غير مروع ولا متمنع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه إلى دمشق»..

و يقول:

سرت إلى هشام واستأذنت، فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر، وقد تضمخ بالمسك والعنبر، و بين يديه مسك مفتوث في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه، فسلمت، فرد عليّ واستدناني، وإذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما، في أذنيّ كل واحدة منهما حلقان من ذهب، فيهما لؤلؤتان تتوقدان، فقال لي: كيف أنت يا حماد؟ و كيف حالك؟ قلت:

بخير يا أمير المؤمنين، قال: أتدري فيما بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قاله، قلت: وما هو فقال:

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها ابريق

قلت هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدة هى:

بكر العاذلون في وضح الصبح
يقولون لي ألا تستفيق
و يلومونني فيك يا ابنة عبدالله
والقلب عندكم موثوق

إلى آخر القصيدة.

فما كان من هشام إلا أن وهب حمادا الجاريتين، وأمده بمائة ألف دينار ومسكن فخم أقام فيه مدة من الزمن، تلك رواية حماد، لكن أدخلوا عليها أنه سكر مع هشام وأنه وأنه... والدليل على كذبهم، أن هشاما معروف عنه أنه لم يشرب قط..

هذا نموذج من الدس على حماد، أتيت به لكي لا نصدق الروايات التي تمس بالتراث، وهو أساس بنيان الأمم..

دور حماد:

حماد الراو ية، هو أول من أطلق لفظ (المعلقات) على القصائد الشعرية المطولة للشعراء الجاهلين، وربما يكون أول من قال بأنها كانت معلقة بالكعبة، وتبعه ابن الكلبي وحين تعرض نولدكه المستشرق الألماني لهذا الأمر، أنكر ذلك رغم أن الاغريق كانوا يعلقون القصائد العظام في معابدهم..

و يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات: إن تعليق الصحائف الخطيرة على الكعبة كان سنة في الجاهلية بقى أثرها في الإسلام، وضرب مثلا بتعليق هارون الرشيد وصيته بتولية الخلافة من بعده لولديه الأمين فالمأمون(١).

---

(١) تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات ٢٤ طبعة دار الثقافة لبنان.

فإذا صح أن حمادا قد أطلق عليها المعلقات، فهذا يعني أنه اشتق ذلك الإسم مما كانت عليه ومما علمه عنها، وقال أبوجعفر النحاس في القرن الرابع الهجري: إن أول من جمع السبع الطوال هوحماد الراوية، وهوممن ساعدوا الوليد بن يزيد على جمع ديوان العرب، الذي لا يعرف عنه شيء حتى اليوم، وكل الذي هومعروف أن حمادا وجنادا ساعدا الوليد على جمعه حسب رواية ابن النديم (١)، وكان لحماد ديوان جمع فيه أشعارا مختلفة مدون بها أشعار القوم فها هويقول أرسل الوليد إليّ بمائتي دينار وأمر بحملي على البريد فنظرت في كتابي قريش وثقيف، فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بلى، فأنشدته منها ما استحسنه، وإذا علمنا أن حمادا كان يعد من رؤوس مدرسة الكوفة، وكانوا هم أكثر الناس رواية للشعر، وكان يقال عنهم أنهم استحوذوا على الطنوج التي كانت للنعمان بن المنذر ــ أي الكراريس التي دونت للنعمان بن المنذر ــ فإن رواية حماد تصبح مقبولة، إذا وجدنا أن يونس بن حبيب وهوبصري أكثر الناس طعنا في حماد، وجناد يليه خلف الأحمر في ذلك الطعن...

من شعر حماد:

لم يكن حماد شاعرا حتى تجوز عليه دسيسة، أنه أدخل شعرا على شعراء الجاهلية، فمن الأبيات القليلة التي نجدها هنا وهناك يتضح أن شعر حماد ضعيف وأنه لا يرقى إلى مرتبة الشعر الجاهلي بحيث يجوز أن يدس في أشعارهم ومن شعر حماد:

إذا سرت في عجل فسر في صحابة
وكندة فاحذرها حذارك للخسف

إلى أن قال:

متى كنت في حيي بجيلة فاستمع
فإن لهم قصفا يدل على حتف
إذا اعتزموا يوما على خنق زائر
تداعوا عليه بالنباح و بالعزف

فهذا شعر حماد وهو شعر سطحي عادي اخباري أو تقريري ليس به أي عمق ومن

(١) الفهرست لابن النديم ١٤٠.

شعر حماد مخاطبته للشاعر أبي العطاء السندي، الذي كان لسانه به، لكنه لم تستقم حين كان ينطق العربية، وفي ذلك قال حماد:

فـمـا صـفــــراء تـكـنـى أم عـوف
كـأن رجيلتيـهــــا منجـــلان

فرد عليها أبوالعطاء:

أردت زرادة وازن زنــــــــــــا
بـأنـك مـا أردت ســـوى لســـاني

وزرادة ــ هي جرادة وازن زنا أظن ظنا (١)..

فليس إذاً في شعر حماد كبير معنى أو أي عمق وما كان له ليستطيع أن يدخل شعرا له في الشعر الجاهلي..

والادعاء بأن حماد أقحم بيتين على زهير ابن أبي سلمى في قصيدته «دع ذا» فإن البيتين يؤكدان من خلال ما احتويا من معان وأسماء أماكن ومطلع جاهلي يؤكدان أنهما جاهليان في كل الفروض وهذين البيتين هما:

لمــن الـديــار بقنـة الحجـــر
أقـويــــن مـن حـجـــج ومزدهـــر
قـفــــر بمـنـدفـــع الـنحـائت من
ضـغـوى أولات الـضـــال والسدر

ثم قال:

دع ذا وعــــــد الـقـول في هــرم
خير الـكـهـــول وسـيـد الحـضـــر

نقد حماد:

تتواتر الروايات عن حماد بأنه عالم بالعربية كما تواترت بأنه كثير اللحن وهى روايات متناقضة..

فالمفضل الضبي قال: قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا. فلما سئل وكيف ذلك أيخطىء في روايته أم يلحن قال، ليته كان كذلك فإن

(١) الحيوان للجاحظ ٥٥٨/ ٥.

أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل و يدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح إلا عند عالم ناقد وأين ذلك؟ (١)

وفي هذا مدح وذم- مدح لحماد بأنه عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء، وذم للادعاء بأنه يدخل في أشعارهم ما يشاء..

وقال الأصمعي كان حماد أعلم الناس إذا نصح (٢)، فحماد إذا كان عالما باللغات ومذاهب الشعر و بالشعر.. لكن هذا العالم لم يكن يتعرض كثيرا لنقد الشعر.. كان يدرك أنه محارب، وأنه ربما لوتعرض للشعر والشعراء لأ ثار حفيظة أناس آخرين عليه وهو يكفيه ما هو فيه، متهم بسوء الخلق وغير ذلك... من هنا نجد أن نقده لا يأخذ شكل النقد الموضوعي، ولكنه نقد تهكمي تفهم منه ارضاء أذواق أناس معينين، أو الاستهتار بعقولهم، فحين فضل أبوعمرو بن العلاء و يونس بن حبيب الأخطل على الفرزدق وجرير من الشعراء المحدثين آنذاك، كان هو يرى غير ذلك، كان يرى أن جرير أفضل من الأخطل لكنه حين سئل عن ذلك قال متهكما الأخطل ألست ترى أنه حبب إلينا النصرانية في شعره -وهذا الكلام- نقد جارح لشعر الأخطل، وتحطيم له في شكل تجاوب مع السائل...

وهو أراد أن يقول أن شعر الأخطل نوع من التبشير لا أكثر ولا أقل، إنني أضرب كفا بكف، كيف تغلبت الظروف على حماد فأسكتته عن نقد الشعر وهو ناقد من الجوارح، لكن كيف نطلب ممن حبس نفسه في داره عاما كاملا لا يخرج منها تخوفا من الناس ومن حقدهم عليه، كيف نطلب منه أن ينشب مخالبه بقرض أبيات الشعر الركيكة و ينهش ما سقط منها معنى وقالبا ويحلق بالجديد الجيد؟!..

وحين تعرض حماد للشعراء الجاهليين فضل النابغة الذبياني لأنه كان يرى أن معانيه يمكن أخذها من البيت الواحد أو نصف البيت أو ربعه فهي موجزة مستقلة لا ترتبط بما حولها من محسنات أو تتعلق بسبب أعمال اللغة فشعره في نظره موجز

---

(١) أغاني: ٦/٢١٦٩.

(٢) أغاني: ٦/٢١٥٠.

وفصيح . . .

ومن هذا النقد يتضح أن حمادا كان يرى أن الإفصاح ضروري في الشعر وأن المعاني يلزم أن تأتي مباشرة وألا تضيع في كنف المحسنات أو البديع وهو ما كان قد بدأ يرى ظهوره في عصره . .

ونحن إذا تعمقنا في هذا الذي قاله عن النابغة نجد أنه في الحقيقة أراد انتقاد شعر وشعراء عصره الذين بدأوا يأتون بشعر تغلب عليه المحسنات اللفظية . .



خلف الأحمر
١٠٠ - ١٨٠ هـ

من هو خلف الأحمر؟

هو خلف بن حيان بن محرز مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعري[١]، قال عنه الأصمعي ما بلغت الحلم حتى رو يت اثنى عشر ألف أرجوزة وكان خلف الأحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده[٢]، ولقد ناب خلف الأحمر ما ناب حماد الراو ية من تهم تتعلق بوضع شعر على شعراء الجاهلية .. كرد للتهم التي وجهها هو ورفاقه إلى جماعة الكوفة، ومنهم حماد الراو ية ...

نقد خلف الأحمر:

خلف الأحمر:

كان يبني أحكامه على آراء اعتقدها فهو القائل :

و بعض قريض القوم أولاد علة
يكد لسان الناطق المتحفظ

فالشعر لديه مستكره : إذا كانت ألفاظ البيت لا يقع بعضها مماثلا لبعض، وأجود الشعر عنده ما كان متلاحم الأجزاء سهل المخارج[٣] .

قال الأصمعي قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله :

فيالك يوما خيره قبل شره
تغيب واشية وأقصى عاذلة

قال خلف و يله وما ينفعه خير يؤول إلى شر قلت له هكذا قرأته على أبي عمرو

(١) الشعر والشعراء : ٧٨٩/ ٢ .
(٢) العقد الفريد : ٣٦٠/ ٥ لابن عبدربه .
(٣) البيان : ٦٦، ٦٧/ ١ .

فقال لي صدقت وكذا قاله جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ وما كان أبوعمر ليقرئك إلا كما سمع، فقلت: فكيف كان يجب أن يقول، قال: الأجود له لوقال:

فيالك يوما خيره دون شره
فأروه هكـــــذا ....

فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار القدماء فقلت لا أرويه بعد هذا إلا هكذا.

نقف قليلا عند هذا النقد، فخلف كان يرى أن من الأجود لجرير ألا يؤول الخير إلى شر، وهى نظرة تفاؤلية رغم أنه قلل من الخير فيما عرضه ولكنه لم يلغه كما فعل جرير، إلا أننا يجب أن نكون في الموقف الذي فيه الشاعر، وليس في الموقف الذي فيه الناقد، فجرير كان يتحدث عن واقع يدركه و يؤلمه، ولهذا كان قد ذهب في قوله إلى أفول الخير، الذي كان يرجوه أن يدوم، لعلمه بأن الواشين والعذال، إن اختفوا هنيهة فهم آتون لا محالة، لا علينا، فالأصمعي تلميذ خلف الأحمر، وكان قد رأى أن يرى رأي أستاذه..

ولم يتعرض خلف الأحمر لشعر المحدثين فقط ولكنه تعرض أيضا للشعر الجاهلي مثله مثل جميع النقاد الذي سبقوه والذين عاصروه فلقد قال وهوبصدد المقارنة بين شعر زهير ابن أبي سلمى وابنه كعب، قال لولا أبيات لزهيرأكبرها الناس، لقلت أن كعبا أشعر من زهير، وكان يقصد قصيدة زهير التي مطلعها:

لمن الديـــــار بقنـــــة الحجـــر
أقـو يـــــن مـن حـجـــج ومزدهـــر

أو هى القصيدة التي تسمى (دع ذا)[1]..

وخلف الأحمر كان من النقاد الشعراء فهو شاعر أجمع الجميع على متانة شعره، وأفرد له صاحب الشعر والشعراء بابا وأدرجه ضمن قائمته وأورد له أبياتا من الشعر وهو فوق هذا ينسبون إليه لامية العرب التي قالها الشنفري، ولا أظن أن ذلك من الصحة في شيء فلامية العرب قصيدة شعرية لا يمكن أن يقولها إلا صعلوك من صعاليك

(١) الشعر والشعراء: ١٣٩/ ١.

العرب الذين عاشوا الصعلكة وتمثلوا كل ما فيها . . .

وهذه اللامية هى التي مطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل

وما كان خلف الأحمر الذي عاش في المدينة أن يتمثل كل ما جاء في تلك القصيدة من وصف لقيم الصعاليك وحياتهم القلقة التي عاشوها متنقلين من مكان إلى آخر وما كان لخلف الأحمر أن يقول :

دعست على غطش و بغش وصحبتي
سعار وأرزيز ووجر وأفكل
وأصبح عني بالغميصاء جالسا
فريقان مسؤول وآخر يسأل

ولا يمكن أن يكون خلف الأحمر هو القائل :

ولست بمهيات يعشي سوامه
مجرعة سقيانها وهى بهل
ولا جبأ أكهى مرب بعرسه
يطالعها في شأنه كيف تفعل
ولا خرق هيق كأن فؤاده
يظل به المكاء يعلو و يسفل

أن اللغة الشعرية لغة إنسان لم يعرف الحضارة ــ عاش طريد جنايات كما يقول :

طريد جنايات تياسرن لحمه
عقيرته في أيها حم أول

إنه الشنفري هو صاحب اللامية وهو القائل فيها :

فإن تبتأس بالشنفري أم قسطل
لما اغتبطت بالشنفري قبل أطول

واللغة التي قالها الشنفري في اللامية يمكن من خلالها الاستدلال الكامل على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وما كان لخلف الأحمر أن يتمثل كل ذلك و يقوله في قصيدة تعد من أروع قصائد العرب، بل أفردوها باللام وهي قافيتها وقالوا لامية العرب، ولقد اتهم خلف الأحمر أيضا بأنه واضع القصيدة التي مطلعها:

إن بالشعب الذي خلف سلع
لقتيـــلا دمـه لم يطـــل

وقالوا إنه قد نسبها إلى ابن أخت تأبط شرا وجاءوا بذلك لأنهم وجدوا أن القصيدة تتحدث بلسان ابن الأخت ذلك القول:

فاسقنيها يا ســواد بن عمير
أن جسمي بعــد خــالي لخــل

والقصيدة منسوبة أيضا لتأبط شرا يرثي فيها نفسه وقد قالها على لسان ابن أخته.

وأيا كان الأمر فالقصيدة بها هنات كثيرة ولغتها تقريرية ولا تمت إلى الشعر إلا من حيث القافية، ولا أظن أن خلف الأحمر لم يكن يدرك ذلك الخلل لو أنه هو الذي صاغها كما لا أظن أن تأبط شرا صاغها وقد تكون فعلا من صنع ابن أخته الذي لا نعرف عنه كثيرا...

منهج خلف الأحمر:

أثر على خلف الأحمر اهتمامه باللغة في الدرجة الأولى فهو من علماء البصرة الذين اهتموا اهتماما كبيرا باللغة وكان من نتيجة نظرته تلك أن أخذ الشعر بمقياس لغوي فقد كان لا ينظر إلا إلى اللغة من خلال نقده للشعر، فذلك في نظره مشرد الألفاظ والآخر يكثر فيه من العلل، والثالث... لا ينقح شعره وهكذا...

فمنهجه منهج لغوي أراد من ورائه مقاومة الضعف اللغوي الذي هجم حينئذ على اللغة بدخول عناصر كثيرة عليها، كما أن النقد اللغوي في ذلك الزمن كان يشكل قمة المعرفة بالشعر فهو في نظر الأصمعي أعلم الناس بجيد الشعر وأفرسهم وأرواهم له، وكان من الطبيعي أن يكون النقد كذلك إذ رواية الشعر كانت تستتبع دراية باللغة و بالغريب من الألفاظ و بضروب النحو، ولم تكن حلقات التدريس تعقد

للرواية فقط ولكن للتعرض للجوانب اللغوية في المقام الأول..

ومن هنا لم يكن نقده ينصب على شيء سوى النظر إلى ترابط الألفاظ وتلاحمها وسهولة مخارجها وعدم إغراقها في الغريب...

كتب خلف:

ذكر ابن النديم في الفهرست أن لخلف الأحمر كتابا أسماه كتاب العرب وهو كتاب مختص بالشعر غير أن هذا الكتاب لم يظهر إلى الآن حسب علمي... كما ذكر ياقوت أن له كتابين آخرين أحدهما ديوان شعر والآخر يسمى جبال العرب، وهذه أيضا لا أعلم أنه عثر عليها...

و بطبيعة الحال ليس بمستغرب على خلف الأحمر أن تكون له كتب في الشعر أو في غيره، غير أن المؤسف، أن تلك الكتب لم نعثر عليها، وربما يكون ذلك قريبا لتعطي أبعادا جديدة لخلف الأحمر...

المفضَل الضبي

من هو المفضل الضبي؟

هو المفضل بن محمد بن يعلي الضبي أحد رواة أهل الكوفة وممن لهم فضل جمع الشعر القديم وهو صاحب المفضليات التي كانت تسمى بالمختارات والتي احتوت على مائة وثمان وعشرين قصيدة أولها قصيدة تأبط شرا التي جاء فيها :

يـا عين مـالـك من شـوق وابـراق
ومـر طـيـف على الأهـوال طراق

وهى التي قال فيها :

حمـال ألـو يـة شـهـادة أنـديـة
قـوال محـكـمـة جـواب آفـاق

وقال :

سـيـدد خـلالـك من مـال تجمعه
حـتـى تلاقى الذي كل امرىء لاق
لـتـقـرعـنّ علي ألـسـن من ندم
إذا تـذكـرت يومـا بـعـض أخلاقي

والمفضل الضبي حينما قال له الياس بن بكار ما أحسن اختيارك للأشعار وكان يقصد المفضليات ، قال له المفضل : والله ما هذا الاختيار لي ولكن ابراهيم بن عبدالله استتر عندي ، فكنت أطوف وأعود إليه بالأخبار فيأنس ويحدثني ثم عرض لي خروج إلى ضيعتي أياما فقال لي اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها فتركت عنده قمطرين فيهما أشعار وأخبار فلما عدت وجدته قد علم على هذه الأشعار فجمعته وأخرجته فقال الناس اختيار المفضل . . .

وهكذا يؤكد المفضل تواضعه في جمع تلك الأشعار أصلا، ولا يهضم دور ابراهيم ابن عبدالله في أنه علم على أجودها [١]..

وأيا كان الأمر، فالمفضليات اعتبرت أول وأجود مجموعة شعرية جاءت مكتوبة عند العرب، وأصبحت مرجعا هاما للشعر العربي، واعتمدها البعض على أساس أنها الأكمل وكل ما جاء بعدها عن الشعر العربي استقى منها أغلبه، خاصة الشعر الجاهلي، ولقد أورد القالي في ذيل الأمالي في سبب جمع هذه المجموعة الشعرية حديثا آخر قال رواية عن أبي عكرمة الضبي مر أبو جعفر المنصور والمهدي ينشد المفضل قصيدة المسيب التي جاء فيها:

أرحلت من سلمى بغير متاع
قبل العطاس ورعتها بوداع
من غير مقلية وإن حبالها
ليست بأرمام ولا أقطاع
إذ تستبيك باصلتي ناعم
قامت لتفتنه بغير قناع

قال ولما عاد إلى مجلسه طلب إحضار المفضل ثم قال له لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صوابا ففعل المفضل [٢].

علم المفضل:

ظل المفضل لأسباب مختلفة يروي عنه أنه لا يفقه في الشعر ولا يعرف في النحو والصرف وأنه مجرد جامع أشعار، ولكن الجاحظ يقول: قال ابن الأعرابي للمفضل ما البلاغة عندك؟ قال: حذف الفضول وتقريب البعيد [٣].. وابن الأعرابي تلميذ من تلامذة المفضل تربى عنده وأتقن وأخذ عنه، ولا أدري كيف لم يكن راوية شعر ومعلما له لديه دراية بالنحو وقواعد اللغة؟! وقد اعترفوا له جميعا بالرواية وهو صاحب

---

(١) المزهر: ٣١٩/ ٢.

(٢) ذيل الأمالي: ١٣١ للقالي:

(٣) البيان: ٩٧/ ١.

أول مجموعة شعرية عربية أو مختارات...

أغلب الظن أنهم يقصدون بذلك أنه لم يكن يقوم بتعليم النحو لتلامذته، فإذا كان هذا صحيحا، فلا شك أنه لا يعني جهله بالنحو، خاصة ونحن نعلم أن الشعر إذا روى لابد وأن يروى بضوابطه اللغوية ولا يمكن روايته بتلك الضوابط ممن يجهلها، وإذا أخذنا رواية الجاحظ عن ابن الأعرابي التي ذكرناها آنفا نجد أن المفضل قد أفتى في علم من العلوم الأكثر حداثة من النحو في ذلك الزمن فكيف يتسنى لرجل أن يتحدث عن البلاغة وهو عاجز عن إجادة ضوابط اللغة؟!..

ويقول ابن سلام الجمحي البصري في طبقاته وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل ابن محمد الضبي(١)، وقد أورد ابن سلام كلامه هذا بعد أن تحدث عن علماء النحو من أمثال عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي، وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمرو والخليل بن أحمد الفراهيدي وخلف الأحمر وأبي عبيدة والأصمعي.

ولم يقل ابن سلام عن جهل المفضل الضبي بالنحو بل وصفه بأنه من أعلم من ورد عليه من غير أهل البصرة.

ولأول مرة نجد اعترافا بصري بكوفي فابن سلام بصري والمفضل الضبي كوفي..

وإذا كان ابن سلام، لم يتخلص من بصريته بالكامل فإنه على الأقل اعترف بعلم المفضل وباعتباره أعلم من ورد عليه من غير أهل البصرة ومعناه أن في أهل البصرة من هم أعلم منه، بيد أن هذا لا يضير المفضل في شيء ويكفيه أن أبا جعفر المنصور اتخذه معلما للمهدي.

نقد المفضل الضبي:

تحدث المفضل الضبي وهو بصدد نقد النقد الذي كان بين أبي نواس ومسلم بن الوليد فقال: إن كلا البيتين صحيح ويقصد البيتين موضع النقد بين أبي نواس ومسلم وهما:

ذكر الصبوح بسحره فارتاحا
وأمله ديك الصباح صياحا

---

(١) طبقات الشعراء: ١١.

هذا بيت أبي نواس ..

أما بيت مسلم فهو:

عاص الشباب فراح غير مفند
وأقام بين عزيمة وتجلد

ثم قال لكن من طلب عيبا وجده ومن طلب له مخرجا لم يفته(١) .. فالمفضل هنا يتحدث عن موضوع النقد وانعدام تلك الموضوعية في الأعمال النقدية التي كانت تمارس في زمانه، والتي كانت تسمى أيضا بالتلاحي لكونها لم تكن دقيقة أو موضوعية، ولأول مرة يصرح ناقد بأن النقد إذا مارسه المرء متخذا موقفا غير موضوعي، فهو إما أن ينتهي إلى مادح وإما أن ينتهي إلى ذام، ويبدو أن النقد في نظره يجب أن يتطرق إلى المحاسن والعيوب ولا يقتصر على أحدها .. وهذه نظرية متقدمة في مفهوم النقد أتت من رجل يؤكد أن إدراكه لهذا العمل قد اتسع وأصبح يستوعب مفاهيم متقدمة على عصره..

إنه بهذا المفهوم يؤكد أيضا خروج النقد من دائرة النقد اللغوي إلى آفاق جديدة يعالج فيها موضوع الشاعر وآفاقه الشعرية المختلفة وانسجام معانيه...

ويروي عن المفضل أنه رفض المقارنة بين الشاعر الراعي وذي الرمة، لانعدام وجه المقارنة بينهما في نظره، ولاندري لماذا؟ علماً بأن ذي الرمة كان راوية للراعي، وكان الراعي مسنا حين كان ذو الرمة يافعا يروي له أشعاره...

أغلب الظن أن المفضل كان يرى أن المقارنة لا تكون إذا اختلفت أزمنة الناس وظروفهم وهذه وجهة نظر بعيدة المرمى.. أو ربما كان يرى اختلاف مواضيع الشاعرين أو غير ذلك مما جعله يرفض عقد مقارنة بينهما.. وأيا كان الأمر فالمفضل الضبي كان ممن يصلحون أشعار الشعراء وبالتالي كان يجنبهم النقد ومن هنا ربما اعتبر هذا العمل الصادر بحسن نية كما هو المظنون يعد تعديا على حقوق أولئك الشعراء فمن يدري ما الذي دفع ويدفع الشاعر إلى قول ما قاله ثم يروي معدلا أو مبدلا؟!..

---

(١) العمدة: ٢٤٦/٢.

قد يكون المفضل بعمله ذلك لا يقصد إلا الإصلاح أو ربما كان يرى أن من واجب الناقد أن يصلح شعر الشعراء فها هو المرزباني في الموشح يذكر أن المفضل حين وجد اسنادا في بيت عدي بن زيد..

فقـــدمت الأديـــم لراهشيـــه
وألفـى قـولهـــا كـذبـا ومينـــا

فحول آخر البيت إلى (كذبا مبينا)..

ولم يكن المفضل وحده الذي يصلح الشعر كما سنرى بل هناك غيره من النقاد قد قاموا بذلك ولا يزال هذا الأسلوب عند العرب حتى يومنا هذا لكننا نراهم يقولون لو كان كذا لكان أفضل.. وللمفضل فوق هذا دور خطير في موضوع القصة القصيرة والأقصوصة والأحدوتة عند العرب..



يونس بن حبيب
٩٠ - ١٨٢هـ

من هو يونس بن حبيب؟

يونس بن حبيب مولى بني الليث بن بكر بن عبده مناة بن كنانة وقيل مولى لبني ضبة و يكنى أبا عبدالرحمن وكان عالما بالنحو وتصاريفه وله مذاهب في النحو والصرف كما كان راو ية وناقداً للشعر وكان يؤم حلقته طلاب العلم وهو أحد البصريين المتعصبين وقد حمل حملة شعواء على حماد الراو ية كما رأينا . وأيضا يعرف بيونس النحوي(١) .

ولقد كانت البصرة أحد أهم الثغور في بلاد العرب تأوى إليها سفن الهند والسند والصين ، ولقد استقرت بها جاليات أجنبية كبيرة مما جعل للتعصب البصري مبررا في الوقوف ضد أهل الكوفة من حيث اللغة إذ كان الكوفيون يجوزون ما لا يجوزه البصريون فخاف البصريون وتعصبوا ثم انقلب التعصب إلى صراع انتهى إلى هرطقة وهجاء شخصي !

ولقد نفع البصرة ذهاب أبو الأسود الدؤلي إليها واستقراره فيها وكان عالما باللسان حيث ذهب في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أبوموسى الأشعري واليا عليها وأبو الأسود هو أول من وضع النحو(٢) ، ولقد كانت آية (إن الله بريء من المشركين ورسولَهُ) سببا في وضع النحو إذ قرأت خطا كما تقول الروايات . . .

و يقول ابن سلام كان أول من استن العر بية وفتح بابها وأنهج سبيلها و وضع قياسها أبوالأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل إذ وضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب (٣).

---

(١) نزهة الألباء للأنباري : ٥٩٠ والفهرست : ٤٠ .

(٢) نزهة الألباء للأنباري : ٨.

(٣) طبقات الشعراء : ٧.

آراء يونس النقدية :

لم يكن يونس عالما بالنحوفقط ولكنه ربط علمه ذلك برواية الشعر ونقده والجدل فيه ، يقول يونس في سبب تقديم امرىء القيس : ليس إنه قال ما لم يقولوا ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه فيها الشعراء منها استيقاف صحبه والبكاء في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وتشبيهه النساء بالظباء وتشبيهه الخيل بالعقبان وقيد الأوابد وكان أحسن طبقته تشبيها (١).

وقال في النابغة هوأحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيت شعر وكان شعره كلام ليس فيه تكلف ثم قال : والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر فالشاعريحتاج إلى البناء والعروض والقوافي .

و يونس هو القائل أن عيوب الشعر أربعة الزحاف والسناد والابطاء والأكفاء ولا أظنه قد استنبطها ونحن نعلم أنه أخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي استنبط العروض بفك أجزاء الشعر كما أخذ عن الإمام الشافعي بمكة ..

وأيا كان الأمر فإن النقد من خلال هذه الآراء يتضح أنه أخذ يخطو خطوات واسعة في سبيل إيجاد قواعد جديدة له استتبعت معرفة تامة بالشعر وأصوله وعناصره وتاريخه وصناعته ..

و بالرغم من أن يونس بن حبيب رجل من رجال النحو لكنه لم يعد ينظر إلى الشعر من تلك الزاوية فقط ولكنه كما رأينا اتسعت نظرته وأخذ يتحدث عن العيوب الفنية في الشعر كالسناد والابطاء والأكفأ وغيرذلك ..

ومن تقويمه لشعر امرىء القيس نجده قد أدرك الجمال الفني الذي استنه امرىء القيس في الشعر باللجوء إلى التشبيه واضفاء صفات جديدة على الإنسان والحيوان لتقريب نظرته الشعرية إلى الواقع الذي يريد إيصاله إلى الآخرين ..

و بهذا الإدراك يمكن القول أن علما جديدا بدأ في الظهور عند العرب وهوعلم الجمال الذي أسموه بالبديع ..

و بالرغم من أن علم الجمال اليوم يعرف بأنه علم فلسفة الفن (٢) ، بالرغم من

(١) طبقات الشعراء : ١٨ .

(٢) علم الجمال وفلسفته : لجيروم استولينتز طبعة رفيرسايد كامبردج بوسطن ص ٦ .

ذلك فإننا واجدون أن العرب قد أدركوا هذه الحقيقة منذ القرن الثاني الهجري وهو ما نجده في تقريظ يونس لامرىء القيس في شعره وما نجده عند أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي وغيرهم.

ثم أننا إذا أخذنا تقريظة للنابغة راعنا أن نجده يفلسف شعر النابغة و يعطيه أبعاده الجمالية و يفرق بينه و بين بقية الشعر المتكلف، وفوق هذا وذاك يتحدث يونس بن حبيب عن شعر الرجلين وقد نظر نظرة كلية إلى أشعارهما فهو حين تحدث عن امرىء القيس أخذ في الاعتبار شعره كله.. وكذلك فعل بالنسبة للنابغة الذبياني..

رأيه في الشعر:

وحين تعرض للشعر المحدث في زمنه قال رواية عن أبي عبيدة.. لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الألفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهوا ورهوا([1]).

إن يونس بن حبيب هنا يقوم الشعر المحدث جميعه ناظرا نظرته الكلية إليه مفندا أسباب ضعفه عازيا ذلك إلى التكلف واغتصاب الألفاظ لتولد معاني و يبدو أنها ألفاظ عقم أوهم ممن قهروا الكلام فصمت عن المعاني الزهر، حتى انتهى بهم الأمر إلى الصنعة وتعني تركيب الألفاظ دون أن تكون لها أية خلفية في النفس..

وإذا تعمقنا في نقد يونس للشعر المحدث في زمنه هالنا أنه يتحدث بأسلوب ناقد نفسي من أكبر مؤسسي علم النقد النفسي ألا وهو كارل غوستاف يونج حين فرق بين نوعين من الأعمال الفنية..

١ــ الأعمال الفنية التي يكون للإدراك فيها دور كبير.
٢ــ الأعمال الفنية التي ينتفى فيها الإدراك..
٣ــ أوما أسماه بعرض الأنا وعرض الهو.

أن يونس يقسم الأعمال الشعرية إلى قسمين أيضا:

١ــ الأعمال المتكلفة..

---

(١) البيان: ١٣/ ٢.

٢ ــ أعمال الطبع ..

ففي الأ ول تطغى عليها الصنعة وقهر الكلام واغتصاب الألفاظ وفي الثانية تأتي المعاني سهوا ورهوا ...

وإذا علمنا بأن فارق الزمن بين الرجلين يزيد عن اثني عشر قرنا من الزمان أدركنا أن النقد عند العرب كان نقدا عالميا بحق، إن يونس بن حبيب يتحدث عن مذهب المطبوعين الذين تأتيهم الألفاظ سهوا ورهوا فمن هم أولئك؟ .. إنهم الذين يتركون لسجيتهم أن تقول ما تريد دون أي تدخل للإدراك أنهم أولئك الذين يملى عليهم طبعهم والطبع هو النفس أو الذات .. الطبع هو (الهو) وليس الأنا كما فسرها (يونج) فيما بعد .. ان يونس بن حبيب ناقد يمكن اعتباره إذا من النقاد النفسيين الأ وائل في مسيرة النقد البشرية ..

إنه من الذين فرقوا بين الطبع والتكلف في الإبداع الفني وأعطوا تفسيرا صريحا واضحا لذلك وميزوا بهذا بين ما هو جدير بأن يسمى شعرا و بين ما هو بغير الشعر، ان عصرا جاء بمثل يونس بن حبيب ورفاقه الآخرين يؤكد أنه عصر تفتح وازدهار كانت تبني أركانه في مجال هذا النوع من الفكر الإنساني ..

وهكذا يصبح النقد الأدبي قد قطع شوطا بعيدا في اقرار قواعد جديدة له لم تعد لغو ية فقط ولكنها أصبحت نفسية في زمن لم يكن لعلم النفس كعلم وجود ..



النقد في القرنين الثاني والثالث الهجري
أبو عبيدة ١١١ - ٢٠٨ هـ

من هو أبو عبيدة؟

هو أبو عبيدة معمر بن المثني عالم من علماء اللغة والشعر وقد أخذ عن أبي عمرو بن العلاء الذي ولد في مكة وتوفى بالكوفة كما أخذ عن يونس بن حبيب ومن تلاميذ السجستاني وأبي نواس وله كتب عديدة منها (كتاب الخيل)..

وأبو عبيدة أحد الرواة والعلماء الذين أثروا الفكر العربي بما حفظوه من تراث وبما طرحوه من آراء وقد ولد في البصرة وتوفي فيها، وقد تناقلت كتب التراث الكثير من رواياته وهو أحد النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي بما طرحوه من نقد وفكر كما شيدوا صرح التاريخ الأدبي عند العرب..

من آراء أبي عبيدة:

سئل أبو عبيدة أي الرجلين أشعر أبو نواس أم ابن أبي عيينة؟ فقال أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء فقيل له سبحان الله كأن هذا ما تبين لك! قال: أنا ممن لم يتبين لهم هذا[١]، ونحن إذا تدبرنا هذا القول أدركنا أن أبا عبيدة قد اندفع وراء موضوعية متطرفة في النقد محمودة عند الباحثين والمحققين والذين يريدون معرفة الحقيقة..

أبو عبيدة كان يدرك أن الحكم بين الأحياء سيكون مشوبا بالجهل لأن الحي معطاء ومن يدري إذا حكم لشاعر ماذا سيفعل الشاعر الآخر في مستقبل الزمان؟..

ثم كيف سينظر إلى حكمه فيما بعد؟!

إننا نلاحظ هنا أن أبا عبيدة ناقد شمولي مثله مثل النقاد الذين ينظرون إلى الأعمال الشمولية ولا يجزؤنها وهو لهذا ينتظر دائما عطاء الأحيا ولا يحكم فيها بينهم، وإذا كان لابد من حكم، فالحكم على من صمتوا أبد الدهر ولهذا نجد نقده كله ينصب على من ماتوا، فأشعر الناس عنده امرىء القيس لأنه أول من فتح الشعر

---

(١) العمدة: ٧٦/ ١.

واستوقف و بكى على الدمن و وصف ما فيها فتتبع أثره الشعراء[1]، وقال أيضا إنه أول من قيد الأوابد، وهذا قول كما ترى قد أخذه عن معلمه يونس بن حبيب السابق ذكره.. ولا عيب عليه في هذا إذ كان كل تلميذ يكرر أقوال معلمه ليوصلها للناس وهذا دأب الخليقة حين لم يكونوا يدركون معنى الاسناد وأهميته وأنهم يقولون نقول ما قال أشياخنا..

وهو أيضا ممن بجلوا النابغة وزهير بن أبي سلمى[2].

ولقد أكبر أبوعبيدة نقد بشار للشعر وسجل هذا في صحيفته بشار الشاعر والناقد[3]، وحين تعرض لشعر بشار مقارنا شعره بشعر مروان ابن أبي حفصة قال: إن شعر بشار أظهر وشعر مروان أمدح للملوك[4]، ولمروان هذه لامية فضل بها على شعراء زمانه ودفعت النقاد إلى مقارنة شعره بشعر غيره من الشعراء ومن هذه اللامية قوله:

هم القوم إن قالوا أصابوا
وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا
أطابوا وأجزلوا

وتصل إلى ستين بيتا في مدح معن بن زائدة الشيباني..

منهج أبوعبيدة:

قلنا إن أبا عبيدة كان يكف عن التعرض للشعراء الأحياء بسبب خوفه من إعطاء نقد ناقص، فهو إذاً كان يرى ضرورة تكامل أعمال الشاعر ويختم التكامل عنده بموت الشاعر فطالما ظل حيا فشعره ناقص والحكم على ذلك الشعر يصبح حكما ناقصا، إذاً الحكم على العمل الناقص ناقص، وهذه القاعدة النقدية سليمة إذا نحن طرحناها بمفهوم عصرنا الحديث، أو مفهوم أي عصر، وهي نظرية تخالف القول بأن الجزء يدل على الكل، ذلك أن يد الرجل لا تدل على الرجل، لكن أبا عبيدة لا يطرح كل هذا فيما بين أيدينا من أقوال، إلا أننا ندركها من قوله أنا ممن لم يتبين لهم هذا وذلك حين

---

(١) الشعر والشعراء: ١٢٨/ ١.

(٢) الجمهرة: ٤٤.

(٣) أغاني: ٩٨٩/ ٣.

(٤) أغاني: ٩٩٠/ ٣.

طلب منه أن يقارن بين شاعرين أحياء، هما أبونواس وابن أبي عيينة، إن توصل أبوعبيدة إلى هذا المفهوم يؤكد أن الرجل قد بلغ شأوا في احترام العمل الأدبي، خاصة الشعر، وأكثر خصوصية حين يصل الأمر إلى حد المقارنة، لكن أليس لنا أن نتساءل: كيف لم يتعرض أبوعبيدة للشعراء بعيدا عن المقارنة؟ بمعنى آخر: كيف لم يتحدث عن شعراء عصره منفردين؟!...

إنه أيضا كان لا يرى أن الشاعر يمكن الحكم عليه من خلال بيت أو أبيات، أو قصيدة أو قصائد شعرية، فقد يلد الإنسان أعمالا مشوهة بعد أعمال جيدة، وقد يلد العكس، أو يلد هذه أو تلك، فالشـــاعر إذاً عند أبي عبيدة محكوم بظروف والناقد أيضا محكوم بظروف، ولا يمكن للناقد أن يقول حكما نقديا إلا إذا تكامل العمل الفني أمامه، من هنا لا نجد أباعبيدة إلا متحدثا عن الشعراء من عصور قبل عصره، ها هو يتحدث عن أشعر الشعراء المقلين فيقول اتفقوا على أشعر المقلين في الجاهلية المسيب بن علس والمتلمس وحصين بن الحمام المرى (١).

لكننا لا ندري من هم الذين اتفقوا وكأن أبا عبيدة ينقل خبرا في الوقت الذي ندرك أنه يعتقد ذلك، فهو إذاً بهذا يريد أن ينفي كونه قد قال نقدا، كذلك نجد ما ذكره أبوتمام عن أبي عبيدة أنه قال وجد كتاب يقال له المجلة وإذا فيه أشعر العرب أبو ذؤيب وما أنت وأبو ذؤيب بنعمان السحاب نجد أن أباعبيدة حتى في علاجه لشعراء الماضي متخوف من النقد، ولكنه تخوف الناقد الموضوعي فهو يعزو الآراء إلى غيره إذا تمكن ولكن دون تحديد أسماء فأين المجلة التي تحدث عنها وإذا صحت فكيف لم يطلع عليها أحد غيره أم أنها مجلة من صنعه ضن بها على الزمان؟!

أغلب الظن أنها كذلك، لكن مع ذلك فأبوعبيدة ناقد من نقاد العرب الأكثر موضوعية والذين إن قللوا في هذا الجانب، فقد أكثروا في التاريخ الأدبي ورووا ذلك ما جعل للأدب العربي مكانة وقدرة على العطاء وتحدي للأزمنة..

---

(١) الشعر والشعراء: ٦٤٨/ ٢.

أبو عمرو الشيباني
توفي سنة ٢١٣هـ

من هو أبو عمرو الشيباني؟

هو أبوعمرو اسحاق بن مراد الشيباني مولى بني شيبان عالم باللغة والشعر وقد جمع أشعار القبائل بعد أن خرج إلى البادية وقيل إن عدد القبائل التي جمع أشعارها تزيد عن ثمانين قبيلة(١)، وهو إلى جانب هذا إخباري، إذ أورد قصصا لا حصر لها عن الشعراء وأشعارهم وأثرى بها الكثير من كتب الأدب العربي وهو ناقد ملم بأصول النقد..

قصص أبوعمرو ونقده:

أسند أبوعمرو الشباني كثيرا من الشعر إلى أقاصيص كما قلنا ومنها ما قاله عن القصيدة التي سمتها العرب بالفاضحة وهى قصيدة النابغة الجعدي التي هجا فيها ليلى الأخيلية والتي مطلعها:

ألا حييـــا ليلى وقولا لها هلا

وهى قصيدة طويلة فاضحة بحق وربما تكون القصيدة الوحيدة في الهجاء بين رجل وامرأة وأبوعمرو وراء القصص التي جاءت لتقول إن النابغة الجعدي من الشعراء المغلوبين فقد غلبه أوس بن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل(٢)، وهو وراء قصة عشق المرقش الأكبر لأسماء بنت عوف، والتي قال فيها المرقش الأكبر:

أمن آل أسماء الرسوم الدوارس
تخطط فيها الطير قفر بسابس

قصيدة طويلة.. وكذلك قوله:

أغالبك القلب اللجوج صبابةً

(١) الفهرست: ١٠١.

(٢) أغاني: ١٦٥٤/ ٥.

وشوقاً إلى أسماء أم أنت غالبه

وهي قصيدة طويلة أيضا ...

وأبوعمرو الشيباني وراء قصة المرقش الأصغر وعشقه لفاطمة بنت المنذر ودور بنت عجلان في تلك القصة وفاطمة هذه هي التي قال فيها المرقش الأصغر:

أفاطم لو أن النساء ببلدة وأنت
بأخرى لأ بتغيتك هائما

وهكذا عشرات القصص التي قالها أبوعمرو الشيباني حول الشعراء وقد أتقن تأليفها معتمدا على القاعدة الأزلية للقصة، البداية والوسط والنهاية، هذه القاعدة التي استنها الإنسان الأول البدائي وبقيت وستبقى أبد الدهر، ويتضح من هذا أن أبا عمرو الشيباني ليس عالما باللغة فقط وليس ناقدا فقط، ولكنه قاص أيضا سنعود إليه في موضوع القصة القصيرة عند العرب إن شاء الله ...

نقد أبوعمرو:

قارن أبوعمرو الشيباني بين شعر كل من المرقش الأكبر والمرقش الأصغر، وتوصل إلى القول بأن المرقش الأصغر أكثر شاعرية من الأكبر حيث، قال المرقش الأصغر: أشعر المرقشين وأطولهما عمرا(1)، وانتقد أبوعمرو الشيباني الشاعر القطامي واسمه عمير بن شبيم وهو أيضا من الذين أسموه بصريع الغواني لقوله:

صريع غوان راقهن ورقنه
لدن شب حتى شاب سود الذوائب

وانصب نقد عمرو على قوله:

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة
ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وهي من قصيدة القطامي التي أولها:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

---

(1) أغاني: ٢٢١٦/٦.

وإن بليت وإن طالت بك الطيل

وفيها ورد :

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الذلل

وقال زائدا فيها أحد المتطرفين :

وربما ضر بعض الناس بطؤهم
وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا

وأبوعمرو الشيباني .. وجد أن القصيدة متكاملة لكنه عاب القطامي في البيت الذي يقول :

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة
ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وقال لو أن البيت قيل في النساء لكان القطامي أشعر الناس ، والسبب أن القطامي كان يصف النوق وليس النساء وهذه القصيدة تغنى بها المغنون[1] ..

وانتقد أبوعمرو أيضا الشاعر كثير حين قال :

فقلت لها يا عز كل مصيبة
إذا وطنت يوما لها النفس
ذلت

وهى من تائيته المشهورة التي مطلعها :

خليلي هذا رسم عزة فأعقلا
قلوصيكما ثم أبكيا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ماالبكا
ولا موجعات القلب حتى تولت

وهذه القصيدة تغني بها المغنون دهرا طو يلا ، وكثير هذا خرج أهل المدينة رجالا

---

(١) أغاني: ٢٠/ ٢٤.

ونساء يشيعونه عند موته هو وعكرمة مولى ابن عباس حتى قيل إنه لم يبق رجل ولا امرأة قد تخلف أو تخلفت[1].

وأبوعمرو لم يرق له أن يذكر كثير في تائيته ذلك البيت الذي ذكرناه آنفا وقال، لوقال هذا البيت في مرثية أوحرب لكان أفضل[2].

وهكذا كان أبوعمرو الشيباني يمارس النقد و يبين صحة المواقع للمعاني، فالعمل الأدبي في نظره لا يكون متكاملا إذا كانت معانيه كلها أو بعضها ليس بينها تناسق ولم يتخذ كل معنى الموقع المناسب له، وهو لهذا أحد الذين نشدوا الكمال في الأعمال الأدبية خاصة الشعر، وربما يعود هذا إلى اهتمامات أبي عمرو المتعددة الاتجاهات فهو صاحب كتاب غريب الحديث رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن أبي عمر وله أيضا كتاب النوادر وكتاب النحلة وكتاب النوادر الكبير وكتاب خلق الانسان وغير ذلك[3].

و يقول ابن السكيت: لقد كان أبوعمرو يكتب بيده إلى أن مات، و يقول ابنه: عمرو كان أبي، كلما أخرج ديوانا لقبيلة من القبائل كتب مصحفا وجعله في مسجد الكوفة. وهكذا يتضح أن أبا عمرو لم يكن ينشد الكمال دون سبب، ولكنه كان ينشده لأنه أدرك من واقع تعدد اتجاهاته أن ذلك هو الأصوب..



---

(١) أغاني: ٣١٥٧/ ٩.

(٢) أغاني: ٢٠/ ٢٤.

(٣) الفهرست: ١٠٢.

أبوزيد الأنصاري
توفي سنة ٢١٥ هـ

من هو أبوزيد الأنصاري ؟

هو سعيد بن أوس الأنصاري من الخزرج قال عنه أبوالعباس المبرد : كان أبوزيد عالما بالنحو وأعلم من الأصمعي وأبي عبيدة به وكان يقال له أبوزيد النحوي(١) ..

وورد في نزهة الألباء قال روح بن عبادة كنت عند شعبة فضجر من الحديث فرمى بطرفه فرأى أبازيد سعيد بن أوس في أخريات الناس فقال يا أبا زيد :

واستعجمت دارمي ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

إليّ يا أبازيد فجعلا يتناشدان الأشعار فقال بعض أصحاب الحديث لشعبة يا أبابسطام نقطع إليك ظهور الابل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدعنا وتقبل على الأشعار قال فرأيت شعبة قد غضب غضبا شديدا ثم قال يا هؤلاء أنا أعلم بالأصلح لي أنا والذي لا إله إلا هو في هذا أسلم مني في ذاك ، وشعبة هو شعبة بن الحجاج المحدث الفقيه(٢) .

وقال عنه ابن مناذر كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة وكان أبوعبيدة يجيب في نصفها وكان أبوزيد يجيب في ثلثيها وكان أبومالك عمرو بن كركرة يجيب فيها كلها(٣) . وقال الجاحظ : ممن كان لا يلحن البتة أبوزيد النحوي وأبوسعيد المعلم(٤) .

نقد أبوزيد :

وقال الكراني قال أبوحاتم السجستاني وقلت لأ بي زيد أيما أشعر بشار أم

(١) الفهرست : ٨١ .
(٢) نزهة الألباء : ٧٩ .
(٣) مراتب النحويين : ٦٧ .
(٤) البيان : ٢٢١/٢ .

مروان؟!

فقال بشار أشعر ومروان أكفر..

وقال أبوحاتم وسألت أبازيد مرة أخرى عنهما فقال مروان أجد و بشار أهزل (١).

إن أبازيد يعطي رأيين هنا من زاو يتين عن شاعرين معروفين، ففي الرأي الأ ول نظر نظرة بدوافع أخلاقية، وفي الرأي الثاني نظر نظرة بدوافع اجتماعية ولهذا أعطى لكل شاعر حقه وفق النظرة التي نظر بها إلى شعره.

ففي الأ ولى كما في الثانية لا نجد أبازيد قد جانب الصواب أو أساء إلى أي من الشاعرين بل هو يكاد يكون قد اعترف بهما من حيث شاعريتهما على الأقل، وأبوزيد الأنصاري بهذين الموقفين أو النظرتين أو الرأيين كما تشاء، قد أدرك أن النقد يمكن ممارسته من زوايا متعددة فأنت تستطيع أن تأتي العمل الأدبي من أي درجة من درجات الدائرة أو أي زاو ية من زوايا المثلث.. بمعنى آخر أن أبازيد يشيرإلى أن النقد مرتبط بخلفيات الناقد و بكامل ما لديه من ثقافة وادراك ثاقب و بعد نظر، أي ليس حتما أن تكون الزاو ية هى الزاو ية الجمالية أو اللغو ية أو الفنية إلخ... فربما فتح باب أو أبواب أخر يطل منها على العمل الأدبي موضوع النقد وربما نظر إلى العمل الأدبي من جميع المنافذ والأ بواب..

لذلك كان أبوزيد على استعداد بأن يدلي برأي ثالث ورابع وخامس، وهكذا في نفس الموضوع، لكن هل في هذا عيب؟ لا أظن ذلك لو أن النظرة من الزوايا المتعددة تتم في آن واحد ولما كان زمانهم لم يكن يستوعب ذلك الأسلوب من النقد فقد كانوا على استعداد كأبي زيد أن يقولوا بقدر ما يسألون.. وأن يعددوا الآراء بمقدار الأسئلة التي تطرح عليهم في العمل الواحد، وفي القـــديم نجابه باستمرار بتعدد تلك الآراء لكنه تعدد لمصلحة العمل الأدبي وليس ضده..

منهج أبوزيد:

من المؤسف أن أبازيد الأنصاري كان من النقاد المقلين بسبب انشغاله بأمور

---

(١) أغاني: ٩٩٥/ ٣.

عديدة ذكر منها صاحب الفهرست له كتاب خلق الإنسان وكتاب الإبل والشاة وكتاب النبات والشجر وكتاب المطر وكتاب اللغات وكتاب النوادر وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب المنطق وغيرها من عشرات الكتب(١)، ومن خلال هذه الاتجاهات المتعددة نجد أن منطق أبازيد في النظر قد دق بمعنى أصبح ينظر إلى الأشياء نظرة الفاحص المدقق المتبحر والمبحر في اتجاهات متعددة فمنهجه إذاً منهج غلب عليه المنطق كيف وهو صاحب كتاب المنطق ومنهج كهذا يتطلب أن تتعدد زوايا الرؤية ولا تقتصر على زاوية منها إذ لا منطق مع ضيق أفق..

بل هو يكاد يضع الأعمال موضع التجربة، وربما اكتسب هذا من دراسته للنبات والحيوان، وغيرها من الدراسات التي قام بها والتي كانت تتطلب التفحص المتأني والتسجيل، وأبوزيد كان ممن خدمهم المنطق فمنعهم من التعصب المتطرف الذي نجده عند بعض الناقدين كأبي مهدي الباهلي الذي سأله عطاء ابن مصعب قائلا أيهما أشعر أجرير أم الفرزدق؟ فغضب الباهلي وقال جرير أشعر العرب كلها وقال لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم(٢). فهذا نموذج متطرف من الأحكام النقدية التي تجدها عند العرب تبتعد عن المنطق وتشط عن الحقيقة فجرير نفسه لم يجرؤ على القول حينما سئل أكثر من أنه (مدينة الشعر) ولم يقل بأنه سيحكم بين الشعراء يوم القيامة أو أنه أشعر العرب كلها، لا علينا من وجهة نظر الباهلي أو ما شط إليه وإنما المهم أننا نجد أبازيد الأنصاري قد فتح بابا جديدا في النقد يمكن تسميته بباب الرؤى المتعددة للعمل الأدبي الواحد أي باب تعدد وجهات النظر من زوايا مختلفة...

قبل هذا كان النقد في أغلبه ينحصر في زاوية أو اثنتين ينظر منها إلى العمل الأدبي ومن ثم ينتهي النقد أو تقويم ذلك العمل عند ذلك الحد، وحينما كانت النظرة محدودة جدا فإن الأعمال الأدبية التي نظر إليها بذلك المنطق لم تنل ما كان يجب أن تناله من نقد كالشعر الذي نظر إليه لغويا فقط أو نظر إليه من حيث مفهوم البلاغة، الخ...

لقد أدرك أبوزيد أن العمل الأدبي كيان ذو أبعاد وأن كل بعد فيه يجب أن يطرق

---

(١) الفهرست: ٨١.

(٢) أغاني: ٢٨١٩/٨.

وإلا كان نقدنا ناقصا ورأينا فيه ناقصا و بذلك نكون قد أسأنا إليه بدلا من أن نحسن إليه أو العكس حين نجد العكس..

لذلك فإن أبازيد رغم إقلاله يشكل بعمله خطوة إلى الأمام في المسيرة العظيمة حين كان العالم من حوله مستكن.



الأصمعي
١٢٣ - ٢١٦ هـ

من هو الأصمعي؟

هو أبوسعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي عالم باللغة والشعر أخذ عن الشافعي بمكة المكرمة وأبى عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وخلف الأحمر وله كتب عديدة منها كتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الأضداد والأصمعيات المشهورة، وقد عاش في المدينة المنورة فترة ثم استقر في البصرة..

نظرية الأصمعي في الشعر:

للأصمعي نظرية في الشعر تقول: (قل من الشعر ما يخدمك ولا تقل منه ما تخدمه)[١]، وهذه النظرية هى امتداد لنظرية الشعر المطبوع والمتكلف، التي سبق أن وردت في أقوال يونس بن حبيب، وهى نظرية سنرى أنها أخذت تفرض وجودها حتى عصرنا الحديث، ذلك بسبب ما طرأ على الشعر من تكلف ظاهر حتى أصبح بعضه كلاما ممجوجا لفرط ما به من ذلك التكلف ولعل السبب في ذلك أن الشعر كان قد أصبح أكثر انتشارا ومصدر رزق و بابا مفتوحا للتقرب من الملوك والسادة ثم الارتقاء، فدخلته الصنعة وأخذ بالنواصي والاقدام..

لا علينا الأصمعي ممن رأوا أن يقفوا في وجه ذلك التيار المتدفق لصده عن التدفق واعطاء الشعر حقه بالاحتفاظ بمكانته والغاء كل ما هو متكلف من ديوان العرب حتى ولو كان مقفى موزون، فالشعر عنده إذاً ليس هو الكلام الموزون المقفى الشعر شعر الطبع أولا وليس التطبع، أننا لأ ول مرة نجد اعتراضا ضمنيا على تعريف الشعر الذي ساد فترة ليست بالقصيرة من الزمن، فالذين كانوا يقولون أن الشعر هو الكلام المقفى الموزون ظهر لهم تيار يقول لا!..

تيار يقول إن هناك شيء اسمه الطبع وشيء اسمه التكلف، فما هو متكلف ليس

---

(١) العمدة: ١٣٣/١.

بشعر حتى لو جاء في إطار الوزن والقافية والأصمعي أحد عناصر ذلك التيار وكان هذا التيار الجديد في النقد لا يدخل في الشعر ما أسموه بالكلام المؤلف المعقود بقواف، إذاً ليس كل كلام مؤلف معقود بقواف بشعر وإنما الشعر في نظرهم ما تدفق من سجية صاحبه بدون اعتساف...

رأيه في بداية الشعر:

والأصمعي ممن رأوا أن العصر الجاهلي إذا أردنا أن نحدد زمنه فهو يبدأ من أربعمائة عام قبل الإسلام، إذ قال إن أول من يروي له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر مهلهل ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ثم ضمره والأخبط بن قريع وقال كان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة وكان امرىء القيس بعد هؤلاء بكثير(١).. وأنا أذهب مذهب الأصمعي في تاريخ بداية الشعر إذ أن شواهد القبور التي عثر عليها في نفس هذه الفترة التي تحدث عنها وما ورد بها من ضعف في كتابة العربية كنص النمارة وغيره ليست دليلا على ضعف اللغة العربية وإنما هى دليل على ضعف الكتابة باللغة العربية ونحن نشاهد حتى اليوم هذا الضعف.

إن النصوص التي نعثر عليها ليست دليلا على ضعف اللغة ولكنها دليل على ضعف الكتابة أو الكاتب فرأي الأصمعي إذاً سليم إذا ذهب إلى ذلك التاريخ حتى يعطي فسحة من الزمن لنتقبل شعر امرىء القيس وغيره ولنتقبل النضج الذي وصلت إليه العربية، وإذا كان عمرو بن هند مضرط الحجارة قد عاش في عام ٥٣٣ ميلادي وقصته معروفة مع عمرو بن كلثوم الشاعر الفحل فإن هذا الشعر كان وليد مئات أخرى من السنين سبقته، راجع جورجي زيدان(٢).

فنمو اللغة ونضجها يستتبع مئات السنين كما ذهب الأصمعي وهو رأي صائب.

نقد الأصمعي:

حين تعرض الأصمعي لشعر الأقدمين في زمنه، اهتم بشعراء الجاهلية اهتماما بالغا ناقدا جارحا ومادحا مغبطا، تحدث عن أوس بن حجر الشاعر الجاهلي، فقال: هو أشعر من زهير، ولكن النابغة طأطأ منه، وقال عنه أيضا لم أسمع قط ابتداء مرثية

---

(١) المزهر: ٤٧٧/ ٢.

(٢) العرب قبل الإسلام- جورجي زيدان: ٢٣٤.

أحسن من ابتداء مرثية :

أيتهـــا النفـــس اجملي جزعـــا
أن الذي تحذريـــن قد وقعـــا (١)

وتنبه إلى إقواء الحارث بن حلزه اليشكري في هذا البيت :

فملكنا بذالك الناس إذا ما
ملك المنذربن مـــاء السمـــاء

فالهمزة هنا مكسورة وفي كل القصيدة مضمومة ، وهى إحدى المعلقات ومطلعها :

أذنتنـــــا بينهـــا أسمـــــاء
رب ثـــاويمـــل منه الثـــواء

وتعرض لزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني من شعراء الجاهلية ، وامتدح المتنخل في قصيدته التي على حرف الزاي والتي منها :

يا ليت شعري وهم المرء يتعبه
والمرء ليس له في العيش تحريز

وهذا الشاعر هو صاحب أجمل طائية عند العرب والتي جاء فيها :

عرفت بأحـــدث فنعـــاف عـــرق
علامـــات كتحبـــير الدماط

إلى أن يقول :

ومـــا أنت الغداة وذكر سلمى
وأضحى الرأس منـــك إلى **اشمطاط**

وقال :

كأن زواحـــف الحيـــات فيـــه
قبيـــل الصبـــح آثـــار السياط

والذي دعس مكامن الحياة يعرف جمال الصورة التي ذكرها الشاعر في بيته الأخير و يعرف كيف بدى للشاعر وجه الأرض وقد جلد بالسياط . .

كذلك تعرض الأصمعي لشعراء آخرين عديدين من الجاهلية ، ومن منهجه

---

(١) الشعر والشعراء : ٢٠٦ ، ٢٠٧ / ١ .

نستشف أنه ناقد تأخذهالصورة الجميلة غير المتكلفة و يعجب بالفكرة و يأسره الفصل في الخطاب، ولهذا كان يتعجب و يتعجب من قول النابغة: (١)

وعـيـرتـــنـي بـنـــوذ بيان خشيته
وهل عليّ بأن أخشــاك من عــار

لكن الأصمعي كيف لا يكون ذلك منهجه وهو القائل: (قل من الشعر ما يخدمك ولا تقل منه ما تخدمه)، إن منهجه واضح صريح يبحث عن الشعر الذي يأتي طوعا ويحمل في طياته الجمال والحكمة والرأي السديد لا الشعر الذي يأتي كرها وتغتصب فيه الألفاظ فتلد معان عقم...



(١) الشعر والشعراء: ١٧١/ ١.

ابن الأعرابي
١٥٠ - ٢٣١ هـ

من هو ابن الأعرابي ؟

هو أبوعبدالله محمد بن زياد الأعرابي ربيب المفضل الضبي وكانت أمه تحته عالم بليغ ملم بالشعر وروايته وناقد، أخذ عنه ثعلب الذي قال قد أملى على الناس ما يحمل على جمال ولم ير أحد في الشعر أعرف منه، وأخذ عنه أبوعكرمة وابراهيم الحربي، وله كتب منها النوادر وكتاب الانواء وكتاب صفة الخيل([1]) .

كان أبوعبدالله ابن الأعرابي، ممن استهوتهم القراءة وتروى عنه هذه الرواية، بعث إليه أبوأيوب أحمد بن محمد بن شجاع غلاما من غلمانه يسأله المجيء إليه لكنه لم يلب الطلب وقال للغلام عندي قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت.. وقال الغلام ما رأيت عنده أحدا إلا أني رأيت بين يديه كتبا ينظر فيها فينظر في هذه مرة وفي هذه مرة. وأظنه لم يكن ينظر إلا في دواوين شعر بحكم قوله : « عندي قوم من الأعراب » .. ولقد كان متحمسا كبيرا للمفضل الضبي وهو الذي نقل إلينا الكثير من أقواله وتعد الأشعار المروية عنه عن المفضل الضبي عند كثير من الدارسين أنها الأكثر صحة ودقة ...

رأي لابن الأعرابي :

ورد في الصناعتين :

أخبرنا أحمد عن أبي بكر الصولي قال كان ابن الأعرابي يأمر بكتابة جميع ما يجري في مجلسه قال : فانشده رجل يوما أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب على أنها لبعض العرب وهى :

ساريـــة لـم تكتمــل بقمــض
كـدراء ذات هـطـــلان محـض

---

(١) الفهرست : ٦٩، والبيان والتبيين : ١٥٧/ ١.

موتـــرة مـــن خـــلة وحمـــض
تمضي وتـبـقـى نـعـمـا لا تمضي
قـضـت بـهـا الـسـماء حق الأ رض

فقال ابن الأعرابي اكتبوها فلما كتبوها قيل له إنها لحبيب بن أوس (أبي تمام) قال خرق خرق لا جرم أن أثر الصنعة فيها بين(١)، وتروي أرجوزة أخرى في اخبار أبي تمام(٢).

هذه الرواية تعطي مفهومين الأ ول:

أن لفظا جديدا أصبح يستعاض به عن معنى التكلف وهو لفظ الصنعة أو التصنع أو الصناعة إلخ.

ثانيا: أن مدلول هذا اللفظ عندهم أوسع من مدلول لفظ التكلف لأنهم قد دخلوا مرحلة اقتصادية جديدة بظهور الكثير من الصناعابت اليدو ية فاستعادوا اللفظ واستخدموه بدلا من التكلف ليعطي مفهوما أكثر دقة بأن هناك مثابرة واجتهاد وتأني ودقة تصل في مرتبتها إلى مرتبة الصانع في إخراج العمل المصنوع وهو في نظرهم عيب من عيوب الشعر الذي يجب أن ينساب من النفس دون صناعة، و بالرغم من أن هذا اللفظ قد ذكره النابغة الذبياني حين نبه إلى الإقواء في شعره حيث قال دخلت يثرب فوجدت في شعري صنعة، و بالرغم من أن الفرزدق قد استخدم أيضا هذا اللفظ بمعنى العيب حين قال: «القصائد تصنعا» إلا أن هذا اللفظ أخذ مدلوله، أو بدأ في أخذ مدلوله في عصر ابن الأعرابي وما تلاه من عصور، حتى أننا سوف نجد الجاحظ في مرحلة لاحقة يصف شعر الحطيئة بأنه من الشعر المصنوع...

نستدل من هذا أن الشعر المصنوع مرفوض لدى نقاد ذلك العصر، ومنهم ابن الأعرابي، ولكن ابن الأعرابي كما يقولون، كان يتحامل على أبي تمام، وأرادوا من الرواية السابقة أن يبينوا بأن النقد لم يكن نقدا صادقا، ولكن به تحامل على الشعراء المعاصرين لهم..

ولما كنا نذهب إلى ما ذهب إليه الأقدمون «بأن المعاصرة حجاب»، فإن تحامل

---

(١) الصناعتين ٥١.

(٢) اخبار أبي تمام للصولي ص ١٧٥.

ابن الأعرابي على أبي تمام ربما يكون صحيحا من ناقد اهتم كثيرا بالشعر القديم ودراسته وتدريسه وتفسير غريبه في الوقت الذي جاء أبوتمام ليقول شعرا بلغة العصر ليس به غريب ولا وحشي، ولهذا قال ابن الأعرابي عن شعره: لو كان هذا شعرا فإن ما قالته العرب باطل، فابن الأعرابي كان يرى أن شعر أبي تمام لا يصل في مرتبته إلى شعر الأقدمين من الشعراء، إلا أننا يمكن أن نستنتج أسباب الذهاب إلى هذا الحد من القول: فالنقاد في ذلك الزمن كان نقدهم يدور في فلك المقارنة باستمرار بمعنى أن الناقد وقد درس وحفظ شعر الأقدمين ما أن ينظر في شعر محدث إلا وقارنه بالشعر القديم الذي عنده فتكون النتيجة أنه يسقط ما بيده من الشعر المحدث و يعلي الشعر القديم، وذلك لما للشعر القديم في نفسه من مكانة، وهم حين كانوا يفعلون ذلك ينسون الظروف الموضوعية للشعر وللشعراء، و يضعون نصب أعينهم اللغة القديمة التي بهرتهم، وجمال الألفاظ الذي استحوذ على قلوبهم، لكننا يجب أن نفرق بين نوعين من المقارنة، إذا كان لابد من مقارنة، المقارنة العمياء التي لا ترى أكثر من صور تاريخية تعشعش في الذاكرة، والمقارنة التي ترفع حجاب الظلام عن الحاضر وشعر وشعراء العصر الذي يقارن بالماضي، فإذا ما رفع حجاب الظلام أمكن أن يعطي حتى على ضوء المقارنة لشعراء أي عصر من العصور حقوقهم التي يستحقونها.

قد يكون النقد القديم في بعض جوانبه فيه تحامل كما رأينا، لكن لا يعني هذا أن ذلك التحامل في كل الظروف مقصود إليه قصدا، وإنما كما قلنا لم يكونوا بمستطيعين أن ينسوا النابغة وزهير وعدي ابن زيد وامرىء القيس وغيرهم، كانوا بالنسبة لهم الكنوز التي عثروا عليها وجمعوها من أشتات وأصقاع، فهم غير مفرطين فيها مهما جاء لهم الشعراء المحدثون بشعر محدث، ولقد كانت حركة الدفاع عن الشعر القديم في جانب من جوانبها نفسية، بمعنى أننا نجد هذا الموقف في كل الأ زمنة و ما أن يأتي جيل جديد بجديد إلا وانتصبت أمامه صفوف المدافعين عن القديم، و بعضهم قد لا يعرف القديم أبدا..

وإذا خلت هذه المواقف من الجاهلين بالقديم تصبح ظاهرة مقبولة لأنها تخفف من غلواء التطرف والاندفاع وراء الجديد بحيث يختار من الجديد أكثره أصالة أما إذا قاد لواءها الجاهلون بالقديم فإنهم يؤدون إلى نتيجة عكسية خطرة على الجديد والقديم

سواء بسواء . .

ابن الأعرابي، كان من الذين ألموا بالقديم إلماما واسعا ، فهو الذي فتح لهم ضوابط اللغة والجمال اللغوي ، ومن هنا فوقوفه في وجه أبي تمام وغيره من الشعراء الجدد في زمنه ، كان عن غيرة متفهمة وليست غيرة جاهلة كما نرى اليوم في كثير من الجدل الذي نقرأه. ابن الأعرابي الناقد أراد أن يحافظ على فخامة ألفاظه وجمال صوره و بعد مراميه .



ابن سلام الجمحي
توفي سنة ٢٣٢ هـ

من هو ابن سلام الجمحي؟

هو أبوعبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري، صاحب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، عالم بالشعر والأخبار، ملم بالنقد وأصوله، أخرج كتابه ذلك في بادىء الأمر في كتابين، ثم ما لبثا أن أدمجا وعول على ذلك الكتاب أكثر الكتاب القدماء، وأنت واجد في كل كتاب قديم ما أخذ من الطبقات لابن سلام...

ولا يستطيع كاتب حديث أن يغض الطرف عنه وهو بصدد الكتابة عن القديم من الشعر، و بالرغم من أن الكثيرين يقولون إن كتاب الطبقات لابن سلام هو أقدم الكتب في مجال الأدب والنقد، إلا أن هناك من يعارض هذا القول، فقد عدد الأستاذ محمد عبدالمنعم خفاجى في كتابه ابن المعتز الطبعة الثانية سبتمبر ١٩٥٨م خمسة وأر بعين كتابا صدرت قبل و بعد طبقات ابن سلام، وكلها تدور في نفس الفلك، ومنها كتاب الشعر والشعراء لأ بي دعامة العبسي وطبقات الشعراء لأ بي المنعم وكتاب الشعراء للأصمعي وكتاب معاني الشعر للمفضل وكتاب الأ ربعة في أخبار الشعراء لابن هفان المهزمي وغيرهم، وقد استند في معظم ما ذهب إليه إلى كتاب الفهرست لابن النديم (١).

وأيا كان الأمر فكتاب الطبقات لابن سلام كان الأكثر شهرة وأمكن العثور عليه في عصرنا الحديث..

آراء ابن سلام في الشعراء:

ولعل ابن سلام من أكثر من وصلنا منهم قولا في الشعراء الجاهليين والإسلاميين على السواء، فقد قال عن أبي ذؤيب كان أبوذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا

(١) ابن المعتز لمحمد عبدالمنعم خفاجى: ٥٢٤.

وهن(١)، وقال عن طرفة ابن العبد أما طرفة فأشعر الناس واحدة وهذا لقوله:

لخـــولـة أطـــلال بـبرقة ثهمـــد
وقـفـت بـهـا أبـكي وأبكي إلي الغد

و يروى هذا المطلع: لخـــولـة أطـــلال بـبرقة ثهمـــد
تـلـوح كـبـاقـي الوشم في ظاهراليد

وأظن أن الأخير هو الأصح وإن عجز الأول دخيل و يقول ابن سلام: و يلي تلك القصيدة لطرفة قصيدته التي أولها:

أصحوت اليـــوم أم شـاقـتك هـــر
ومـــن الحـــب جنـــون مستعـــر

وأقول إنها من ست وسبعين بيتا، وفيها بيت قال فيه أن حبيبته تريه النجوم في الظهر، والذي مازال معناه يستخدم للتهديد حتى اليوم لدينا، وهذا البيت هو:

أن تـنـــــولـه فـقـــد تمنعـــــه
وتـريـه الـنـجـم يجري في الـظـهـر

أما عبيد بن الأ برص فقال عنه ابن سلام قديم الذكر عظيم الشهرة وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله:

أقـفـــــر من أهلـــه ملحـــوب
فـالـقـطـبيـــات فالذنـــوب (٢)

إلا أننا نجد أن عبيد ابن الأ برص له قصائد عديدة أوردتها كتب الأدب منها:

لمـــن دمنة أقـــوت بحـــرة ضرغد
تـلـــوح كعنوان الكتاب المجـــدد

وهى إحدى مجمهرات العرب وأبياتها ست وثلا ثون بيتا وله أيضا قصيدة:

لـيـس رسـمـا على الـدفـــين ببـال
فـلـــوى ذروة فجنـــبي أثـــال

(١) طبقات الشعراء لابن سلام: ٣١.

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام: ٣٣.

وهى قصيدة من خمسة وثلا ثين بيتا خاتمتها :

ذاك عيـــش رضيتـــه وتـــولى
كـل عيـــش مصـــيره لهبـــال

وله أيضا :

أمـن مـنـزل عاف ومن رسم أطلال
بكيت وهل يبكي من الشوق أمثالي

ثلا ثة عشر بيتا ، كما أن له :

نـأتـــك سليمي فالفـــؤاد قريـــح
وليس لحاجـــات الفـــؤاد مريـــح

أربعة عشر بيتا ، وغيرها من القصائد التي نسبتها كتب الأدب إلى عبيد بن الأ برص ، ونحن نرى أن ابن سلام أراد من كتابه هذا أن يحفظ ذكر فحول الشعراء في نظره، ولم يهتم في كتابه سوى بذكر مطالع قصائدهم .. كما أنه أراد أن يذكر أقوال النقاد وما ذهبوا إليه في ذلك الشعر ثم رأيه هو الخاص ..

وكتابه في الأصل مختصر، أو هكذا عثر عليه ، لكن ربما يكون هذا الاختصار بسبب لا يعود للمؤلف ذاته ، ولكنه للدارسين لذلك الكتاب والذين نقلوه إلينا ..

نقد ابن سلام :

لما كان كتاب ابن سلام قد احتوى على طبقات فحول الشعراء فقط ، فنحن نلاحظ أنه أسقط الكثيرين من الشعراء ، سواء في العصر الجاهلي أو الإسلامي ، ولهذا حين تعرض لهؤلاء الفحول نجد أنه في نقده لهم لم تخرج أقواله عن جودة ذلك الشعر ، لا غميزة فيه ولا وهن أو قوله أشعر الناس واحدة وقال عن الحطيئة متين الشعر شرود القافية ..

والز برقان شاعر مفلق والمقدم عنده في أصحاب المراثي متمم بن نو يرة أبا نهشل ولما لم يعثر لعبيد ابن الأ برص إلا على قصيدته :

أقفـــر مـــن أهـــله ملحـــوب

فقد قال إنه شعر مضطرب، وعزا هذا الاضطراب هو ومن سبقه من النقاد بسبب ما ورد في هذه القصيدة من سناد وزحاف لكنهم مع ذلك لم يستطيعوا إسقاط عبيد بن الأ برص من فحول الشعراء بسبب شهرته كشاعر وسبق أن ذكرنا بعض شعره الذي يثبت فحولته...

وابن سلام بتوجهه ذلك يبين لنا أنه اتخذ للجودة مفهوما لديه، وهى ما سبق ذكره من أنها شيء يقع في النفس عند المميز كالملاحة في الوجه، ولهذا فالشعراء عنده اثنان مقاحم وثنيان والأ ول هو المقدم والثاني هو من في شعره وهن(١).. وهو ممن ذهبوا إلى أن للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات تؤدي إلى معرفة الجيد منه وتفريقه عن الرديء.. ولكن الصناعة المقصودة هنا هى إدراك الناقد لجمال العمل الفني الشعري وتمييزه ومعرفة أبعاده، فكلامه هنا كلام ينصب على النقد لأعلى الأعمال المنتقدة بمعنى آخر الثقافات الخلفية للناقد ما هى وكيف تكون؟!.. وأيا كان الأمر فابن سلام كان أحد الجهابذة الذين حفظ ذكرهم التاريخ في مسيرة الأدب العربي، ومما يؤكد أن كتابه طبقات الشعراء وصلنا في شكله الوجيز، أنك إذا قارنت أقواله في كتابه بأقواله التي وردت في كتب الأدب عنه تجد هناك فرقا يؤكد أن ما ورد من أقوال في كتابه إنما هى أقوال مختصرة كما قلنا سابقا لكنها حافظت على القصد ولم تحوره أو تلغيه أو تضيف إليه..

منهج ابن سلام النقدي:

وابن سلام حين اهتم بالتراث الأدبي أدرك أن قيمة ذلك التراث كامنة فيه ولكن تحتاج إلى مثقف وهو كأنه كان يصنع فلسفة للقيم.. أهي في ذات الشيء أم فينا أم في الخارج عنا وعنه، ثم ينتهي إلى القول القيمة في الشيء ذاته وليست فينا أو في الخارج عنا وعنه.. ولهذا كان هو من أوائل من بدأوا بوضع قواعد النقد إذ وجد أن القيمة في الشيء تظل كامنة بالشيء حتى يأتي المنقب المثقف وهذا اللفظ الأخير ضروري ولازم، لكنه يعود فيقول إننا لكي ندرك القيمة يلزم أن تكون فينا شروط معينة أساسية وهى معرفة وإدراك المقاييس الجمالية في العمل بواسطتها يمكننا الكشف عن تلك القيمة الجمالية أما في الخارج عنا وعنه فلابد من وجود وعي

---

(١) العمدة لابن رشيق ١١٨/ ١.

مستوعب لتلك القيمة الجمالية نحن نستخرجها من أجله ، راجع طبقات ــ مقدمة .

ذلك هومنهج ابن سلام النقدي الذي يجابهنا به في مطلع كتابه وهومنهج يستحق دراسة أعمق وأبعد لأن ابن سلام ومع مطلع القرن الثالث الهجري بدأ يزاوج بين الفلسفة والنقد و يضع للنقد شروطه ..





أبو العميثل الأعرابي
توفي سنة ٢٤٠هـ

من هو أبو العميثل؟

هو عبدالله بن خليد بن سعد مولى جعفر بن سليمان والعميثل اسم من أسماء الخيل وهو السبط الذيال المتبختر في مشيته وكان معلما ومؤدبا لأولاد عبدالله بن طاهر والي خرسان (الفهرست ٧٢).

وهو أديب عالم ناقد وشاعر ملم باللغة توفي عام ٢٤٠هـ. وقد ورد خطأ أنه توفي عام ٤٠٢هـ في كتاب البيان ــ ١ ــ ٢٨٠هـ ــ تحقيق عبدالسلام محمد هارون.

وظيفته:

لم تكن وظيفة أبي العميثل هى تعليم ولد عبدالله بن طاهر فقط ولكنه كان أيضا يقوم بوظيفة الناقد الذي عليه أن يجيز الشعراء أو شعرهم على الأصح قبل أن يلقى على الوالي.

وهى وظيفة لأول مرة تستحدث في هذا المعنى ولعل السبب في ذلك يعود إلى كثرة الشعراء أو أدعياء الشعر الذين أرادوا أن يتقربوا بشعرهم إلى الولاة وأن ينالوا الجوائز على ذلك.

و يبدو أن كثيرا من غث الشعر قد عرض قبل أن توجد تلك الوظيفة في بلاط عبدالله بن طاهر وفي غيره مما كان لا يستحسن سماعه أو يستقبح سماعه، أو غير ذلك.

وأيا كان الأمر، فإن مرور الشعر على ابن العميثل كان واجبا وضروريا قبل أن يسمعه عبدالله بن طاهر، حتى ولو كان من فحول الشعراء.

وكأنهم بذلك قد أدركوا أن من الممكن أن يكون الشاعر فحلا في قول الشعر لكن هذا لا يمنع من أن يقول شعرا ركيكا...

ولدينا في هذا الخصوص حادثة كاد أبوتمام يكون ضحيتها رغم ما عرف عن فحولة أبي تمام فقد أراد أبوتمام عطاء عبدالله بن طاهر فقصده فقيل له عليك أن تعرض شعرك على أبي العميثل وناقد آخر يبدو أنهما كانا يتناوبان في هذه الوظيفة وهو أبوسعيد الضرير فأنشد أبوتمام قصيدته التي مطلعها:

أهـن عـوادي يوسـف وصواحبه
فـعزمـا فـقـدمـا أدرك السؤل طالبه

فلم يرق المطلع لأبي العميثل ولا لصاحبه أبي سعيد الضريرو وفعلا أسقطا القصيدة، وكاد أبوتمام أن يفقد ما قصد إليه، ولم يرق لأبي تمام أن يحكما على قصيدته من مطلعها، فتحاور معهما وطلب منهما أن يستمعا إليها كاملة، ثم يجيزانها أو لا يجيزانها، و يبدو أن أباتمام استطاع اقناعهما فوافقا، فقال القصيدة التي منها:

وركب كأطـراف الأسنـة عرسوا
على مـثـلـهـا والليـل تـسطو غياهبه
لا مـــر عليهـم أن تتم صــدوره
ولـيـس عـليهم أن تتم عواقبـه (١)

ولقد شرح الآمدي أبوالقاسم الحسن بن بشر فيما بعد أسباب رفض القصيدة حين ذكر في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري بقوله:

ومن ردىء ابتداءات أبي تمام قوله:

هـن عـوادي يوسـف وصواحبـه
فـعزمـا فـقـد مـا أدرك النأى طالبه

هكذا النأى ذكرها الأمدي وقال:

وإنما ردأة قوله (هن) فابتدأ بالكتابة عن النساء ولم يجر لهن ذكر بعد ثم قال عوادي يوسف ومعناها صوارف يوسف ثم قال وتمم البيت بعجز لا يليق بصدره(٢).

و يروي الآمدي خبر وظيفة النقد في الموازنة رواية أخرى إذ يقول كان أبوالعميثل

---

(١) راجع شرح ديوان الحماسة ١ ــ ٣ للتبريزي.

(٢) الموازنة للآمدي: ١٧/ ٢.

الأعرابي وأبوسعيد الضرير على خزانة الأدب لعبدالله بن طاهر بخراسان وكانا يجمعان أشعار الشعراء الذين يريدون المثول أمام الوالي فمن ضمن ضـم قصيدة أبي تمام وكانا يعرضان الجيد على ابن طاهر و ينبذان الردىء فنبذاً قصيدة أبي تمام فلما أبطأ خبرها على أبي تمام أرسل إليهما شعرا قال فيه:

وأرى الصحيفة قد علتها فترة
فترت لها الأرواح في الأجسام

فقالا له: لم لا تقول ما يفهم؟ فقال لهما: ولم لا تفهمان ما يقال؟ فاستحسنا الرد، فأجازا القصيدة هكذا(1).

نستدل من هذا أن أبا العميثل ممن يحكمون على الكتاب من عنوانه أو هكذا أرادت تلك الروايات تصوير نقده.. غير أن الحقيقة غير ذلك فالناقد مجبر على قراءة العمل الموضوع للنقد بكامله، وكان أبوالعميثل يدرك ذلك وقد قرأها كاملة، لكنها لم ترق له للأسباب التي جاءت في أقوال الآمدي بخصوص المقدمة وربما كان هناك أمر آخر لم يكن أبوالعميثل بقادر على طرقة خاصة وأن أعمالا عديدة للشعراء كان عليه أن يجيزها أو لا يجيزها، وهو على خزانة الأدب لعبدالله بن طاهر. وقد نعذر أبا العميثل لهذا السبب إذ ليس في الإمكان أن يقول لكل شاعر أسباب عدم إجازة شعره، خاصة وقد دل تخصيص خزانة للأدب على كثرتهم وكثرة الإشعار التي يراد لها أن تجاز. ورغم ذلك فإن أباتمام في الحقيقة قد بعث بعدة أبيات حين استبطأ أمر قصيدته إلى أبي العميثل منها:

ليت الظباء أبا العميثل خبرت
خبرا يروي صاديات الهام

إلى أن قال:

وأرى الصحيفة قد علتها فترة
فترة لها الأرواح في الأجسام
إن الجياد إذا علتها صنعة
راقت ذوي الآداب والافهام
لولا الأمير وإن حاكم رأيه

(1) الموازنة للآمدي: ١٩/ ٢.

في الشعر أصبح عادل الحكام
لتكلت آمالي لديه بأسرها
ولكان إنشادي خفير كلامي
ولخفت في تفريقه ما بيننا
ما قيل في عمرو وفي الصمصام

وهذه كما ترى أبيات فيها عتاب وتخوف من أبي العميثل وفي نفس الوقت إشارة إلى أنه يرجو الحكم العادل من أبي العميثل في قصيدته.

ولقد رد عليه أبوالعميثل بقصيدة أو أبياته من الشعر على الأصح جاء فيها:

أفهمتنا فنفعت في الافهام
فأسمع جوابك يا أبا تمام
إن الضباء سنيحها كبريقها
في جهلها بتصرف الأقوام
جفت بأيام الفتى و برزقه
في اللوح قبل سوابق إقلام
قد كنت حاضر كل ما حبرته
من منطق مستحكم الابرام
فيه لطائف من قريض موفق
نطقت بذلك السن الحكام

إلى أن قال: فعليك محمود الإنساءة انها
والنجح في قرن على الأ يام

راجع اخبار أبي تمام لأ بي بكر محمد ابن يحى الصولي ٢٢٣ وما بعدها و بلا جدال قد طمئنت هذه الأ بيات أبا تمام الذي كما نرى طلب منه الصبر كما أن رأى الحكام في قصيدته قد نطقوا به وهو أن قريضة فيه لطائف وموفق إلا أن أبا العميثل أفهم أباتمام بأن الظبأ تجهل تصرف الأقوام وكان عليه أن يفهم من هذا عدة أمور لعل منها أنه إذا كان يرى أن عمله الشعري جيد فإن للأقوام رأى أو آراء ... و بالتالي فالصبر طيب ومن صبر ظفر.

وقد ظفر أبوتمام في نهاية المطاف وأجاز أبوالعميثل شعره..

ابن السكيت
توفي سنة ٢٤٤هـ

من هو ابن السكيت؟

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت، كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن والفقه والشعر راوية فقيها، أخذ عن البصريين كما أخذ عن الكوفيين ومنهم العراء وأبي عمرو الشيباني والأثرم وابن الأعرابي، وتتلمذ عليه أبوسعيد السكري وأبوعكرمة الضبي، وله من التصانيف الكثير في النحو ومعاني الشعر وتفسير دواوين العرب (١).

كان ابن السكيت ممن اهتموا بجمع أشعار الجاهليين، فهو أحد من جمعوا شعر امرىء القيس وزهير بن أبي سلمى وعروة بن الورد وغيرهم من الشعراء. وديوان عروة بن الورد الذي جمعه ترجم إلى لغات أجنبية منها الألمانية والفرنسية وقد أشار إليه بروكلمن في كتابه تاريخ الأدب العربي ١/ ١٠٩.. وطبع طبعته الأولى عام ١٨٦٣ طبعة جوتنجن. ولقد كان اهتمامه بجمع دواوين الشعراء.. إحدى البوادر التي خدمت التراث العربي وحافظت عليه حيا. وجمع التراث في تلك الحقبة لم يكن بالأمر السهل كما هو الحال اليوم حين يلجأ الناس إلى المخطوطات لإحيائه، وإنما كان أمرا صعبا لأنه يقوم بجمعه من أشتات.. و يرحل في المدن والبوادي للتأكد من بيت شعر واحد.

لقد كان دور ابن السكيت أكبر من أن نثني عليه في عصرنا هذا فهو دور جليل يتحدث عن نفسه.. و بالرغم من أن الذين قاموا بمثل هذا الدور في التاريخ الأدبي العربي غير قليلين فاهتمامات ابن السكيت بامرىء القيس وزهير بن أبي سلمى وعروة بن الورد وغيرهم تعد اهتمامات لماحة..

ولم تكن اهتمامات ابن السكيت هى جمع الشعر العربي وشرحه فقط وإنما دخل

(١) نزهة الألباء: ٢٢٨، بغية الوعاة: ٤١٨، الفهرست: ١٠٧.

دائرة التأليف وألف إصلاح المنطق وله كتاب اسمه الألفاظ وكتاب اسمه القلب والأ بدال ثم الأضواء.. وغيرها الكثير حسبما أشار إليه ابن النديم.

ورغم كل هذه الاهتمامات، فقد كان يقوم بتدريس صبيان العامة في المساجد، ثم مدرسا للمعتز ابن المتوكل، ولقد اهتم في البداية بشرح غريب الألفاظ الواردة في الشعر، ولعل من أطرف تفسيراته للفظة «ورع»، فلقد ظن الكثيرون أنها تعني الجبان الخرع، ألا إن ابن السكيت أعطاها معناها الصحيح حين قال: إنها تعني الصبي الجاهل، وهذه اللفظة لا تزال مستعملة حتى اليوم في البادية.

من نقد ابن السكيت:

يتصف نقد ابن السكيت بالإنسانية، أو النقد الأخلاقي، فهو رغم اهتمامه باللغة كان ينظر إلى العمل الأدبي من زاو يته الإنسانية قبل كل شيء.. وكان يهمه في الدرجة الأ ولى أن يتصف ذلك العمل بتلك الصفة.. ولعل من الأمثلة التي بين أيدينا نقده لـقصيدة عماره بن عقيل حفيد جرير بن عطية الخطفي.. التي أولها:

حي الديار كأنها أسطار
بالوحي يدرس صحفها الاحبار

ولقد تعرض لهذه القصيدة أكثر من ناقد، والسبب أن عمارة كان يعد أحد مصادر اللغة لسوء اللغة في البصرة في أيامه، وممن تعرضوا لهذه القصيدة أبوحاتم السجستاني وصب جام غضبه على عمارة الذي جمع ريح با رياح في بيته الذي قال فيه:

لعب البلى بجديدها وتنفست
عرصاتها الأ رياح والأمطار

فلم يرق هذا الجمع لأ بي حاتم واستغرب وغضب حتى أبدلت لفظة أرياح وأصبح البيت يقرأ:

لعب البلى بجديدها وتنفست
عرصاتها الأ رواح والأمطار

وحين تعرض ابن السكيت لهذه القصيدة التي هى رد على هجاء ابن هارون أخي

بني تيم اللات بن ثعلبة لم يهتم ابن السكيت باللغة كما اهتم السجستاني أو لعله قد وافق السجستاني فيما ذهب إليه وإنما انصب اهتمامه على الجانب الإنساني كما قلنا، إذ علق عليها ابن السكيت قائلا: لله دره ما سمعت هجاء قط أكرم من هذا(١). ونحن إذا بحثنا في القصيدة عن الجانب الأخلاقي الذي جعل ابن السكيت يقول إنه لم يسمع هجاء أكرم من هذا نجد الأمر ينحصر في بيتين اثنين فقط هما:

حتى إذا عزموا الفرار وأسلموا
بيضا حواصن ما بهن قرار
لحقت حفيظتنا بهن ولم نزل
دون النساء إذا فزعن نغار

هذان هما البيتان اللذان تأثر بهما ابن السكيت وتأثير الشاعر واضح فهو قد ذكر أن الغارات التي كانت تشن تتجنب بقدر الإمكان أن تزيد من فزع النساء.

ابن السكيت إذا نظر إلى القصيدة نظرة أخلاقية أو إنسانية وكان نقده لها من هذا الجانب فقط.. وهذه النظرة تفيدنا عنه كثيرا وتعطينا الجانب النفسي الذي يعيشه فهو قد صدق الشاعر فيما ذهب إليه وقد لا يكون الشاعر صادقا فيما قال.. لكن هذا ليس هو المقصود عند ابن السكيت إن صدق أو كذب الشاعر مرتبط بالشاعر إنما الفكرة هي التي قد تؤثر في آخرين فيسلكون مسلكه الذي قاله في شعره...

فابن السكيت بهذا يرى أن العمل الأدبي عمل مستقل عن صاحبه طالما أصبح ملكا للناس، وأن محتواه حينئذ هو الذي علينا أن نقيمه ونبرز ما استطعنا جوانب الخير منه، ونمقت ما استطعنا جوانب الشر فيه.

وهذا التوجه في النقد يحتاج إلى فكر ثاقب و بعد نظر عظيمين، كما يحتاج إلى دراسة عميقة للقيم والمبادىء التي يحتاجها الناس في حياتهم على مدى أزمنة كثيرة تأتي.

وابن السكيت بهذا التوجه يدفع بالنقد إلى آفاق أكثر إشراقا و يظل يستهزىء بكثير من دعاة المعاصرة الذين يجهلون ماضيهم و يريدون أن يبدأوا من فراغ.

(١) الأغاني: ٢٥٧/ ٢٤.

فمعالجة الجوانب الإنسانية في العمل الأدبي وإبرازها للكافة برفع شأنها ترفع من المستوى الأخلاقي والإنساني عند الناس وتجعلهم يحتذون حذوها فهو تأثير عقلاني مهم عند النقاد ثاقبي النظر.

وابن السكيت يقترب بهذا المعنى من مفهوم الأدب للحياة، بمعنى أن عليه أغراض إنسانية ذات أبعاد ودلالات، فالأدب عنده كيفا وليس كما والكيف قيمة مترامية الأطراف غير محدودة الزمن، إذا كان يمكن أن تكون كذلك فهي بهذا قيمة مستمرة.

ولقد برهن ابن السكيت بلفظة (أكرم) إن الهجاء الذي قرأه هو هجاء لاشك في ذلك وهو هجاء شعري فهنا نجد اعتراف بمحتواه إذا أردنا أن نطبق مقاييس كل منهما وجاءت لفظة أكرم لتفصل بين نوعين من الهجاء هجاء يدمر ولا يعترف بأي قيمة إنسانية وهجاء يقر بالجوانب الإنسانية و يأخذها في الاعتبار.

وتكريم ابن السكيت لهذا الهجاء إنما هو تكريم نابع من صاحب أفق واسع لدور المعاني والقيم الإنسانية أينما وجدت فالقيم هى محوره وهى ضالته التي ينشدها...



الجاحظ
١٥٤ - ٢٤٩هـ

من هو الجاحظ:

هو أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ولد وتوفي بالبصرة أديب ناقد صاحب كتاب الحيوان والبيان والتبيين الذي قال عنه ابن خلدون إنه «أحد أربعة كتب في الأدب العربي القديم» وهو أيضا صاحب كتاب البخلاء وكتاب التاج، وغيرها من الكتب...

وقيمة الجاحظ الأدبية كبيرة عند من يدركون قيمة التراث، وهو فوق هذا ناقد ثاقب البصيرة، من أوائل من استخدموا المباضع في النقد الأدبي وأدخلوا الأعمال الأدبية إلى معامل التحليل الأدبي وقاموا بالتشريح لجزيئات الأعمال الأدبية..

لم يشأ الجاحظ أن يدخل ميدان النقد دون أن يحلل العناصر التي يتكون منها العمل الأدبي، فبدأ باللغة والناطقين بها وكيفية ذلك النطق، ثم قارنها باللغة الفارسية ولغة الروم، ووجد أن العربية أرحب وأن موسيقاها تؤهلها للشعر وجماله واعتبر الأمم أربعة فقط بسبب لغاتها وهم: العرب والفرس والهند والروم وقال عن من عداهم بأن لغاتهم سقط وقال حين أقول الأمم فاعلموا أنني أعني أولئك فقط (١).

وتحدث عن البيان والبلاغة، فقال عن البيان: إنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والافهام..

وقال: اعلم ــ حفظك الله ــ أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، ثم ذهب ليعدد أصناف الدلالات عليها وحصرها في أربعة: اللفظ فالإشارة فالعقد فالخط

(١) البيان: ١٣٧/ ١.

وقصد من العقد الحساب..

وهكذا أخذ الجاحظ يورد كل شاردة و واردة من أقوال من سبقوه ومن تصانيفه ليوفي البيان معناه. راجع البيان ١ ــ ٧٦ وما بعدها..

وحين تحدث عن البلاغة قال: من زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا وكيف يكون كله بيانا؟...

نقد النقد:

والتفت الجاحظ حوله فلم يرقه ما كان يمارس كنقد فقال:

لقد أدركت رواة المسجديين والمربديين، ومن لم يردد أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة ثم استردوا ذلك كله و وقفوا على قصار الحديث والقصائد والفقر والنتف من كل شيء ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب فصار زهدهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب ثم رأيتهم منذ سنيات وما يروى عندهم نسيب الأعراب الأحداث السن قد ابتدأ في طلب الشعر أو فتياني مغزل، وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي ويحي بن نجيم وإلى مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشده وكان خلف يجمع ذلك كله..

ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية الرواة للشعر إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى استخراج، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل، ثم يستطرد ليقول في النهاية: ولولا أن أكون عيابا للعلماء خاصة لصورت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة[1]..

والجاحظ بهذا القول، يقدم لنفسه بعد أن كاد يعيب صراحة من سبقوه في النقد،

---

(١) البيان: ٢٣، ٢٤/ ٤.

و بالرغم من أنه لم يقل صراحة ما هي العيوب التي كان يراها كذلك، إلا أننا يمكن أن نتوصل إلى المعاني العامة التي طرحها في أول حديثة، والتي لم تكن في نظره تحقق الغرض من تقو يم الأعمال الأدبية، لكن هل كان بإمكانهم أن يفعلوا أكثر من ذلك؟! لقد اختلف عصر الجاحظ اختلافا طفيفا عن عصر أولئك، أدى إلى تغير نظرة الجاحظ نفسه وكان عليه بناءً على ذلك الاختلاف أن يحمل هو لواء فكر جديد وأن ينظر إلى الأشياء بمنظار جديد...

وإذا كان لنا أن نقول ماذا فعل الجاحظ أو ماذا أراد من نقده؟ فإنه بإمكاننا القول: إن الجاحظ قصد إلى القول بأن النقد أو تقو يم الأعمال الأدبية شيء آخر غير ما كان يمارسه أولئك الذين سبقوه، وإنه قصد أيضا إلى القول إن النقد تحليل..

ولما كانت الأعمال الأدبية التي ينصب عليها النقد في زمنهم هي الشعر فإننا نجد الجاحظ يقول: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج» مستعيرا المعنى من خلف الأحمر(١).

ترى هل قصد الجاحظ الحديث عن وحدة القصيدة بتلاحم أجزائها؟!.. إن من الصعب الإجابة بالإيجاب، كما من الصعب الإجابة بالنفي، فموضوع وحدة القصيدة و وحدة البيت موضوع رغم جدته إلا أنه قديم جدا ناقشه نقاد القرن الثاني الهجري..

كما نناقشه اليوم..

فهناك من كان يرى في وحدة البيت ونصف البيت وربع البيت دقة متناهية إذا جمعت فأوعت كحماد الراوية، وهناك من كان يرى ضرورة ترابط وتلاحم القصيدة.. كما هو حال الجاحظ وخلف الأحمر من قبله... إذ أن من المحتمل جدا أن الجاحظ رأى بأن تلاحم أجزاء القصيدة وارد وضروري، خاصة وأن العصر الذي كان فيه قد استغنى عن القصائد التي تطرح أكثر من موضوع، وأن عصر الموضوع الواحد في القصيدة قد أهل عليهم رغم أننا نجد قصيدة الموضوع الواحد وجدت في الجاهلية لدى الشعراء الذين استوطنوا المدن كعدي بن زيد مثلا.. في قصيدته بكر العاذلون..

---

(١) البيان: ٦٧/ ١.

فالجاحظ هنا لم يكن يتعرض للشعر القديم، وإنما كان يتحدث عن الشعر الجديد في عصره، عصر الموضوع الواحد وضرورة تلاحم أجزائه لأن عصر المدن والاستقرار فيها تحقق للجميع تقريبا..

ولم لا يقول الجاحظ بوحدة القصيدة وقد استغنى عن الوقوف على الأطلال ووصف الناقة ثم أكثر من موضوع في الحب والشجاعة الخ... وهذه كانت ضرورة في العصور السابقة، لأن الشاعر كان عليه أن يحدث قوما يريدون أن يعرفوا عنه كل شيء، فهم لا يسمعون به أو منه إلا بعد حول أو أكثر، وكان عليه أن يعطيهم انطباعاته على مدى زمن الغيبة كله.. وأن يصف لهم الأحداث التي صادفته في حياته.. أما الشاعر الجديد، فموضوعه واحد، وهو شاعر حاضر باستمرار لا يخرج بعيدا، وإذا خرج فسرعان ما يعود.. وهو أمامه أن يفرد لكل موضوع عملا شعريا مستقلا قائما بذاته.. فإذا كان الأمر كذلك، لم لا تكون هناك وحدة و يكون تلاحم في أجزاء القصيدة كما قال الجاحظ؟! لكن هل يعني هذا أن من رأوا في وحدة البيت أو نصف البيت أو ربع البيت قد أخطأوا أغلب الظن؟ لا، فأولئك تحدثوا حين كان الزمان بكل موضوعيته يتطلب ذلك فطالبوا بمطالب الزمان...

أما الجاحظ، فقد اختلف عصره كما قلنا.. وكان عليه أن ينادي بما ينادي به العصر، ولهذا طالب بوحدة القصيدة، ووحدة العمل الأدبي.. ليتمكن من التحليل والتشريح لجزئيات ذلك العمل...

يقول الجاحظ على لسان أحد الربانيين أي الراسخين في العلم: أنذركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام، فإن المعنى إذا اكتسى حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه المتكلم دلا متعشقا، صار في قلبك ولصدرك أملا..

ثم يقول: فاذكر هذا الباب ولا تنسه، ولا تفرط فيه، ثم يعود فيقول: القصد من ذلك أن تتجنب السوقي والوحشي ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، ثم يقول: ليكن كلامك ما بين المقصر والمغالي، فإنك تسلم من المحنة عند العلماء يعني النقد(١).

إن الجاحظ يعطي دروسا لما يجب أن يكون عليه الحال، فهذا الذي دعى إليه هو

---

(١) البيان: ٢٥٤، ٢٥٥/ ١.

سبيل وحدة العمل الفني أو الأدبي، وذلك لكي يصل إلى معنى قوله (وقد أفرغ إفراغا واحداً وسبك سبكا واحداً فهويجري على اللسان كما يجري الدهان)..

التصنع :

ثم لا يترك الجاحظ قبل و بعد هذا موضوع التصنع أو الصناعة فيقول: وقد علمنا أن من يقرض الشعر و يتصنع الأسجاع و يؤلف المزدوج، وقد تعمق في المعاني وتكلف إقامة الوزن، والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا ورهوا مع قلة لفظه، أحمد أمرا وأحسن موقعا من القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج (١)..

نقد الجاحظ :

واختلف الجاحظ عن النقاد الذين سبقوه بأن أخذ يصب نقده الأغلب على الشعر المحدث بدلا من الشعر القديم، وكأنه بذلك قد رأى انصاف الشعر الجديد واعطاءه حقه الذي حرم منه لفترة تزيد عن قرن ونصف تقريبا، كان النقاد خلالها إذا لم يحقروا الجديد أقاموا بينهم و بينه حجابا، فبرد في نظر المتطلعين إلى الثقافة الجديدة والاستزادة منها، ولهذا قال الجاحظ: المطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميري وأبوالعتاهية وابن أبي عيينة، وقد ذكر الناس في هذا الباب يحى بن نوفل وسلما الخاسر وخلف ابن خليفة، وابان بن عبدالحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء، و بشار أطبعهم كلهم (٢)..

ثم يقول: ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة، وورد في الأغاني أن الجاحظ قال: كان بشار شاعرا خطيبا صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المتفننين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضرو به (٣)..

ولفت الجاحظ بهذا أنظار الناس إلى الشعر المحدث وإلى الشعراء الجدد فكانت هبة استذواق للشعر الجديد حتى بلغ الأمر أن حبس هارون الرشيد أبا العتاهية ليقول

---

(١) البيان: ٢٨/ ٤.

(٢) البيان: ٥٠/ ١.

(٣) أغاني: ٩٩١/ ٣.

شعراء بعد أن أعلن زهده في الشعر وامتناعه عن قوله..

وحين التفت الجاحظ إلى الشعر القديم قال: ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كاملا وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله، و يقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه فيجعل عقله زماما على رأيه ورأيه عيارا على شعره اشفاقا على أدبه[1]. ثم يستعين الجاحظ بشعر سويد كراع العكلي الذي وصف فيه كيف يقول الشعر والذي جاء فيه:

أبيت بأبواب القوافي كأنما
أصادي بها سربا من الوحش نزعا

وقد وصف الشاعر الخوف والتكلف في قول الشعر.. و يؤكد هذا بقول الحطيئة: (خير الشعر الحولي المحكك).. ولكنك تخرج بعد ذلك بأن الجاحظ يرى عكس ذلك، و يذهب مذهب الأصمعي الذي يرى أن ذلك ليس من الطبع..

ولهذا انتقد زهير أبي سلمى والحطيئة معترفا بأنهما يتكلفان حين يمدحان، و يأتيان بعفو الكلام في غير ذلك[2]..

نخلص من ذلك بأن الجاحظ ضد الشعر العقلي الذي يصل إلى علم الجبر والحساب، لأنه في حالته هذه، يسقط من الشعر، و يدخل في علوم النظم والكلام الذي ليس من الشعر في شيء...

(١) البيان: ٩/ ٢.

(٢) البيان: ١٣/ ٢.

أبوحاتم السَجستاني
توفي سنة ٢٥٥ هـ

من هو أبوحاتم ؟

هو سهل بن محمد المكني بأبي حاتم السجستاني، قال عنه ابن النديم كان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي عالما بالشعر و باللغة(١) ..

وقال ابن دريد كان يتجر في الكتب ويخرج المعمي حاذق بذلك دقيق النظر فيه، ومن تلامذته المبرد وابن دريد(٢)، تحدث أبوحاتم السجستاني عن المستوغر الشاعر، وتحدث عن جرير، وتحدث عن الخزيمي، وتحدث عن عروة بن أذينة وقال عنه ثقب ثبت روى عن مالك بن أنس وكان عروة بن أذينة يقول الشعر، وقيل عن عروة بن أذينة أنه صاحب الأغنية الشعرية :

يا ديار الحي بالأجمة
لم تبين دارها كلمة

وهو أيضا الذي وضع لها اللحن.. وتحدث عن الكميت وقال له على لسان خلف الأحمر رواية عن الأصمعي، إذ قال: كان الكميت شديد التكلف في الشعر كثير السرقة(٣).. وقال عنه: أصم، أصلخ، لا يسمع شيئا، يعلم الصبيان في مسجد الكوفة، ولا ندري حقيقة أكل هذا الذي انصب ضد الكميت من أبي حاتم السجستاني، أم من خلف الأحمر؟ أما حديثه عن الخزيمي الشاعر، فقد اعتبره أبوحاتم أشعر المولدين والخزيمي كان قد عمي بعد سن السبعين، وقال مراثي جيدة في عينيه منها :

فإن تك عيني خبا نورها
فكم قبلها نور عين خبا

---

(١) الفهرست : ٨٧ .

(٢) الشعر والشعراء : ٦٠/ ١ .

(٣) الشعر والشعراء : ٥٨١/ ٢ .

والخريمي هو القائل:

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله
ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

وأبوحاتم هو صاحب جملة (خالف تعرف)، التي رواها على لسان أعرابية توصي إبنها قائلة: إذا جالست الناس فأحسنت أن تقول كما يقولون فقل وإلا فخالف تعرف ـ راجع رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك في أخبار أبي تمام ٢١..

من نقد أبي حاتم لأبي تمام:

تحدث محمد بن الحسن اليكشري للصولي فقال: أنشد لأبي حاتم السجستاني شعرا لأبي تمام، فاستحسن بعضه واستقبح بعضا، وجعل الذي يقرؤه يسأله عن معانيه، فلا يعرفها أبوحاتم وقال: ماأشبه شعر هذا الرجل إلا بثياب مصقلات خلقان، لها روعة وليس لها مفتش..

وهذا نقد مر لشعر أبي تمام يعني فيما يعني أن ألفاظ شعره فخمة، لكن المعاني غامضة، وقد يلاحظ المرء أن أباتمام قد ناله الكثير من النقد، و يكاد لا يوجد ناقد من النقاد في عصره لم يمسسه بسوء، إلا القليل منهم، و يعود هذا إلى التجديد في الشعر الذي أتى به، وتركيبه للألفاظ بطريقة لم تكن معهودة..

ولعل من أهم من وقفوا إلى جانبه وأيدوه البحتري وعلي بن العباس الرومي الشاعران، ولعلهما بذلك يوفيانه حق أستاذيته عليهما، فالبحتري على الأقل قد أخذ بيده أبوتمام حين لم يكن شيئا..

ولعل أيضا من أسباب التحامل على أبي تمام الغموض الذي ورد في شعره، إذ ها هو القاضي الجرجاني يقول: وأنت لا تجد في شعر أبي الطيب المتنبي بيتا يزيد معناه أو تتعقد ألفاظه تعقد أبيات الفرزدق، فأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين [١].

---

(١) الوساطة: ٤١٩.

الغموض الشعري:

ونحن إذا عدنا إلى نقد السجستاني، سنجد أنه أراد القول بأن شعر أبي تمام رغم ضخامة الألفاظ، فالمعاني غامضة لدرجة أنه لم يكن يقدرعلى إجابة من كان يسأله عنها .. وهو أمر لم يتعوده النقاد في ذلك الزمن، ولم يحاولوا تفسيره تفسيرا نفسيا كما نرى في عصرنا الراهن، وإن كانوا قد أدركوا أن بعض المعاني الغامضة لابد لها من تعليل لكن هذا التعليل موجود في «بطن الشاعر»، ولهذا قالوا المعنى في بطن الشاعر، و يعنون بذلك نفسه فهم بهذا التعبير قد أدركوا امكانية وجود شعر غامض وأن الغموض يمكن تفسيره إذا استطاعوا سبر نفس الشاعر. ولكي يسبروا نفس الشاعر كان الأمر يتطلب تخصصا وانقطاعا وهو ما لم يكونوا بفاعلية دائما .. على أية حال، لقد جابهوا الغموض في الشعر منذ عهد الفرزدق، و وقفوا منه مواقف مختلفة ليس هنا مجالها ..

وكانت ظاهرة الغموض والوضوح في الشعر إحدى المشاكل التي حاولوا وجود تبرير لها، ومن هنا قال أبوالعميثل لأ بي تمام: كما رأينا لِمَ تقول ما لا يفهم؟ وقال أبوتمام: لم لا تفهم ما يقال؟ وفي رواية أخرى، أن هذا الجدل داربين أبي تمام وأبي سعيد الضرير(١).

ولقد وقف السجستاني أمام ظاهرة الغموض في الشعر مثله مثل غيره من النقاد مستعجبا حينا ومقسرا نفسه على التفسير أحيانا ولهذا هجا أحد الشعراء أباحاتم قائلا:

إذا أسنــد القــوم أخبـارهـم
فاسنـاده الصحـف والهاجـس

فكأنه بذلك يلوم أبا حاتم على التفسير الذي يأتي به للمعاني الغامضة، و يقول له: إن ما يأتي به إنما هواجس(٢)، ونحن إذا وقفنا على لفظة الهواجس هذه، فإن الشاعر بذلك اللفظ قد كاد يقترب قولا من التفسير النفسي للشعر، بل هو ربما قال ما يجب أن يقال في هذا المعنى...

فالتفسير النفسي لأفضل علمي هو ضرب من الهواجس يقول بها الناقد قد تصيب

---

(١) اخبار أبي تمام للصولي: ٧٢.
(٢) التصحيف والتحريف للعسكري: ١٣.

وقد تخطىء..

على أية حال لا أظن أن ذلك الشاعر بهجائه لأ بي حاتم قد أساء إليه في زمننا، وإن كان قد أساء إليه في زمنه..

أما نحن اليوم، فنعتبر ذلك مدحا لأ بي حاتم، وليس هجاءً كما أراد. وهذا ليس مستغربا من تعاقب الأ زمنة، وتصحيحها للأفكار والأشياء، أن أباحاتم إذاً ممن استخدموا هواجسهم في تفسير الشعر الغامض، ولعله بذلك قد أضاء العتمة التي كانت تكتنف بعض الشعر، وجعل قبوله ممكنا وساعد على استخراج المعاني التي كانت في بطن الشاعر، كما يقولون، و يكفيه شهادة قول تلميذه ابن دريد، أنه كان يستخرج المعمى حاذق بذلك دقيق النظر فيه، وإذا كان هذا واقعا، فنحن بلا شك نجد النقد قد دخل في تلك المرحلة المبكرة من حياته دائرةالعمق البعيدة في مفهوم الرقي الثقافي للمجتمعات.. فالنقد النفسي نقد من أوائل شروطه التعمق في العمل للوصول إلى أفضل النتائج، وليس هذا فحسب، بل دراسة شخصية صاحب العمل وتتبع سيرة حياته ومعرفة أبعاد معارفه العلمية وظروفه و بيئته الخ...

و بالرغم من أن كل ذلك كان من الصعب الجزم بتحقيقه، إلا أن خطواتهم على ذلك الطريق إنما هى خطوات بعيدة، إذا أدركنا البعد الذي يقف عنده عصرهم في هذا المجال..

أما كتب أبي حاتم، فقد عدد ابن النديم ما يزيد عن عشرين كتابا، منها كتاب ما يلحن فيه العامة، وكتاب الأضداد، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المقاطع، وكتاب الفصاحة وغيرها (١).



(١) الفهرست: ٨٦.

ابن قتيبة
٢١٣ - ٢٧٦هـ

من هو ابن قتيبة:

هو أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وسمي بالدينوري لأنه كان قاضيا بالدينور، عالما باللغة والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، وعالما بالشعر والفقه خطيبا.

مقدمة ابن قتيبة النقدية:

في كتاب ابن قتيبة «الشعر والشعراء»، وردت مقدمة نقدية، أنا ممن يرون أنها تشكل بذاتها دراسة مستفيضة في النقد، إذا وجدت من يقوم بتحليل عناصرها وكشف أسرارها وإظهار مراميها..

وفي هذه المقدمة، يبرر ابن قتيبة تصنيفه لكتابه «الشعر والشعراء» قائلا:

«إنني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله في متخيره، و يرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده، إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله»... ثم يقول: «ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره، وقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثون وكان ابن عمرو بن العلاء يقول «عنهم»: لقد كثر هذا المحدث وحسن، حتى لقد هممت بروايته؛ و يستطرد قائلا: ثم صار هؤلاء قدماء عندما يبعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا(١).

ابن قتيبة شن بتلك الكلمات حملة على التمييز بين الشعر القديم والحديث، ولام علماء عصره على ضيق أفقهم، واعتبر أن ذلك التمييز ليس صادرا إلا عن تعصب وليس موضوعية ولهذا فهو لم يميز في كتابه بين قديم ومحدث واتخذ جانب الإنصاف

(١) الشعر والشعراء: ٦٣/ ١.

طريقا وسار على هديه ..

وإذا أدركنا أن ابن قتيبة قد شن حملته تلك منذ أكثر من ألف عام، وإدراكنا أيضا أنها حملة ضد النقاد، فإن ما أتى به في مقدمته يمكن تسميته بنقد النقد وتشريحه.

ضروب الشعر عند «ابن قتيبة»:

قال أبومحمد ابن قتيبة تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

١ــ ضرب حسن لفظه وجاد.
٢ــ ضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.
٣ــ ضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه.
٤ــ ضرب تأخر معناه وتأخر لفظه (١).

لقد حصر أبومحمد ابن قتيبة أضرب الشعر ــ كما رأيت ــ مما جعل نقده يضيق كما سنرى، لكنه بهذا استهل منهجا علميا لدراسة الشعر تتبعه النقاد فيما بعد وأكثروا فيه ..

غير أن أبا محمد، وقد حصر نفسه أو آفاقه في تلك الأضرب، نجده لم يستطع أن يستوعب ما استوعبه غيره من نقاد الشعر، فقد انتقد أجمل أبيات شعرية قالتها العرب، وأقر بهذا نقاد عرب لا حصر لهم، كالجرجاني والقالي والفارابي، كما سنرى فيما بعد، حين التحدث عن هؤلاء .. انتقد أبومحمد أبيات عقبة بن كعب بن زهير التالية:

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هوماسح
وشدت على حدب المهاري رجالنا
ولا ينظر الغادي الذي هورائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح

قال أبومحمد في هذه الأبيات كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع وإن

---

(١) الشعر والشعراء: ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٦٩/ ١.

نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعلينا أبلنا الأنضاء ومضى الناس لا ينظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح هكذا...

لقد خان الانحصار الذي اختاره أبومحمد في الوصول إلى جمال عجز البيت الثالث الذي قادت إليه صدور وإعجاز الأبيات السابقة عليه لتعطي اللوحة التي تبدو وقد رسمت رسما فنيا لأن الشاعر لم يعد يتحدث حديثا مباشرا ولكنه استخدم الصورة ليعمق المعنى واستخدم الألفاظ لتخدم الصورة.

لقد أصبح اللفظ يخدم صورة تخدم معنى عميقا وليس سطحيا لقد أنقدت تلك اللوحة كل ما قاله الشاعر من تقريرية ليدخل إلى الشعر واستعجب أبو محمد من علمائه قائلا وهو بصدد الحديث عن بيت النابغة الذبياني:

خطاطيف مجن في حبال متينة
تمـد بها أيد إليك نوازع

قال أبومحمد رأيت علماءنا يستجيدون معناه ولست أرى ألفاظه جيادا ولا مبينة لمعناه لأنه أراد القول: أنت في قدرتك عليّ كخطاطيف عقف يمد بها وأنا كدلو تمتد إليه تلك الخطاطيف وعلى أني لست أرى المعنى جيدا. هكذا قال أبومحمد:

قد عبر عما يدور بخلده مصورا أيضا ومستخدما ألفاظا من بيئته هى أكثر الألفاظ ملاءمة للتعبير عن الموقف المؤلم الذي كان يمر به أثناء هروبه من النعمان بن المنذر وكأن الصورة عنده لا تعني شيئا ولام أبومحمد الأصمعي لأنه أدخل في متخيره قصيدة المرقش الأكبر:

هل بالديار أن تجيب صمم
لو أن حيا ناطقا كلم
يأبى الشباب الأقورين ولا
تغبط أخاك أن يقال حكم

وقال أبومحمد شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متخير اللفظ ولا لطيف المعنى ولا أعلم فيه شيئا يستحسن إلا قوله:

النشـــر مسك والوجـــوه دنانير
وأطـــراف الأكـــف عنـــم

هكذا انتقد أبومحمد المرقش الأكبر وتعجب من الأصمعي أن يختار تلك الأبيات في جياده أو مختاره لكن أبا محمد خانته قاعدته التي تقول وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه..

إذا كان الشاعر يتفلسف وأراد أن يعطي حكما ليتعظ الناس من هذه الحياة الفانية المتقلبة الخادعة وهذه القصيدة وردت في المفضليات، و يبدو أنها وردت في مختارات الأصمعي على الأقل في زمن ابن قتيبة و يقول المرحوم أحمد محمد شاكر هذا يدل على تداخل الأصمعيات في المفضليات(1).. كما أنها تعد من أجود شعر المرقش الأكبر فهي قصيدة فلسفية ملئت حكما.

بيد أن أبا محمد بن قتيبة لم يقتصر على ذلك بل عالج سرقات المعاني و وقف ضد الشعر المتكلف وقال عنه والمتكلف وإن كان جيدا محكما فليس على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه..

أما المطبوع عنده فيقول والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزمر وتحدث أبومحمد عن عيوب الشعر كالاقواء والاكفاء والابطاء والسناد ثم تحدث عن العيب في الاعراب ولكنه اصطدم بشيئين الأول أن القائلين بتلك العيوب هم فطاحلة الشعراء من أمثال امرىء القيس ولبيد الفرزدق والمرقش الأكبروالثاني أنه اصطدم بأن بعضا من كبار النحويين أجازوا أو أوجدوا مبررا لتلك الأخطاء بل احتجوا بها كسبوية..

و بهت أبومحمد أمام ذلك واحتار كما احتار من مواقف أساتذته الأصمعي وأبوعبيدة في اختياراتهم الجديدة..

بيد أن محمد بن قتيبة لا يجب أن نفهم من مواقفه أنه كان عاجزا عن إدراك القيمة الجمالية للصورة الشعرية وأنه نظر إلى الشعر نظرة جامدة يعجبه فيه ارتباطه بالعروض

---

(1) الشعر والشعراء: ٧٢/ ١.

فقط فنحن نجده قد وافق على قول الشاعر:

بـدأت بـنـا وابـن الليـالي كـأنـه
حـسـام جـلـت عـنـه القيون صقيل
فـمـازلـت أفـنـى كـل يـوم شـبـابـه
إلى أن أتـتـك الـعـيـس وهـو ضـئيل

فهنا استخدم الشاعر الصورة بدلا من القول بأنه بدأ رحلته حين كان القمر هلالا وكابد المسير إلى أن أفنى شباب القمر فاضمحل حين وصلوا..

لقد حدت القواعد التي وضعوها لنفسه من أن تعطيه الفرصة لينظر أبعد مما تشترطه تلك القواعد. هذا أمر لا جدال فيه ولهذا فقد قال عن النابغة في قوله:

كـلـيـنـي لهـم يـا أمـيـمـة نـاصـبي
ولـيـل أقـاسـيـه بـطـيء الـكـواكـب

قال: لم يبتدىء أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب..

وقال عن حميد نور في قوله:

أرى بـصـري قـد رابـنـي بـعـد صحة
وحـسـبـك داء أن تـصـح وتـسلما

قال لم يقل في الكبر أحسن منه وهكذا نجد أبا محمد بن قتيبة قد التزم بتلك القواعد التي جعلته لا يحيد كثيرا وهو بصدد بحثه عن المعاني الحسان في ألفاظ رشيقة وفي أسلوب مباشرة فالشعر عنده يتعقد إذا استخدم الصورة وهو أمر عجيب أن يقول به بعد أن مهد علماؤه لتقبل الصورة في الشعر والتي وردت مبكرة في الشعر الجاهلي.

لكن أبا محمد الذي كان فقيها كان متأثرا بالقواعد الفقهية التي تربط بين السبب والمسبب وتقول بالوضوح وتنشد في الشيء الأصل، ومع ذلك فكتاب أبي محمد «الشعر والشعراء» من أهم الكتب في التراث، وله كتب أخرى منها كتاب المعاني الكبير وكتاب عيون الشعر وعدله ابن النديم ثلاثة وثلاثين كتابا (١).



(١) الفهرست: ١١٥.



المبـــرّد
٢١٠- ٢٨٥ هـ

من هو المبرد؟

هو أبوالعباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير بن حسان ابن أسلم بن سعد بن عبدالله بن دريد بن مالك و ينتهي نسبه في ثمالة بن أصحبة الذي ينتهي في الازد وله عشرات الكتب التي منها كتاب الكامل(١).

كتاب الكامل:

قال أبوالعباس في مقدمة مقتضبة لذلك الكتاب (هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الأدب، ما بين كلام منثور وشعر مرصوف، ومثل سائر وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا..

ومن خلال هذه المقدمة نستشف أن أبا العباس المبرد كان قد خطط لكتابه أن يكون كتابا شاملا وأن أراءه في النقد التي قال عنها الكثيرون أن كتابه قد احتواها إنما جاءت وهو بصدد نوع أو أنواع معينة من الجمال اللغوي، لأن الرجل قصد فقط شرح المعاني والإعراب..

فكتاب الكامل كتاب جامع تماما كما ذكر مؤلفه في مقدمة كلمته ليس كتابا متخصصا وليس به باب أفرد على أساس أنه خاص بالنقد أو غيره..

المعالجات النقدية:

ولا ننكر أن أبا العباس تطرق إلى جوانب يمكن اعتبارها من الجوانب النقدية في كتابه ذلك ولكن تطرقه جاء من باب ذكر النواحي الجمالية في العمل الأدبي كما قلنا..

فلقد تحدث عن الإيماء اللغوي عند العرب فقال من كلام العرب الاختصار المفهم

(١) الفهرست: ٨٧.

والأطناب المفخم وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة اله وضرب مثلا بقول الحطيئة :

وذاك فـتـى أن تـاتـه في صـنـيـعـه
إلى مـالـــه لا تـأتـــه بـشـفـيـــع

كما ضرب مثلا بقول زهيربن أبي سلمى :

على مـكـثـريـهـم حـق من يعتريهم
وعـنـد المـقـلين الـسـمـاحـة والبذل

و وقف من الفرزدق موقفا صعبا إذ قال ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قوله يعني الفرزدق :

ومـا مـثـلـه في الـنـاس إلا ممـلـكـا
أبـــو أمـه حـى أبـــوه يـقـار بـه

وقال كان هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد حيث قال أي الفرزدق :

تـصـرم مـنـى ودبـكـر بـن وائـل
ومـا كـاد مـنـى ودهم يـتـصـرم
قـوارض تـأتـيـنـي ويحـتـقـرونـهـا
وقـد يمـلأ الـقـطـر الإنـاء فـيـفـعـم

والمبرد ممن لا يرون في أن الشاعر المبدع يمكن أن يقول شعرا ركيكا ولهذا حمل على الفرزدق حملته تلك ومدح .. شاعر الطائف المبدع والذي لم يأت الزمان بمثله من تلك المدينة حسب علمي ، الشاعر النميري في قوله :

رمـتـنـي وسـتـر الله بـيـنـي و بـينها
عـشـيـــة أرام الكنـــاس رمـــيم
الا رب يـــوم لـو رمـتـنـي رمـيـتـها
ولـكـن عـهـــدي بالنضـــال قديم
يـرى الـنـاس أنـي قد سلوت وأنني
لمـرمـى احـنـــاء الـضـلــوع سقيم

رميم التي قالت لجارات بيتها
ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

ورميم هنا هى صاحبة النميري وقال أبوالعباس المبرد في هذا الكلام هذا كلام خال من التكلف وسالم من التزيد و بعيد عن الاستعانة..

وله بعد ذلك مذهب في جمال اللغة أو الجمال اللغوي، ولعله من أوائل من لفتوا الأنظار إلى ذلك بدقة متناهية وضروب الاستحسان عنده هى كالتالي:

قول واضح المعنى وغريب اللفظ كقول الشاعر:

والشيب ينهض في السواد كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار

فاللفظ الغريب عنده أن جعل الشاعر النهار يصيح أما المعنى فواضح..

ولم يبين أبوالعباس رأيه في هذا الأمر وان قد أبان أن أحلى الكلام عنده الواضح العذب كقول عمارة:

بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهدا
وإن عدتم أثنيت والعود أحمد

وقول يستحسن لفظه و يستغرب معناه ويحمد اختصاره كقول شاعر من بني كلاب لم يذكر اسمه:

فمن بك لم يغرض فاني وناقتي
بحجر إلى أهل الحمى غرضان
هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى
وإني وإياها لمختلفان
تحن فتبدي ما بها من صبابة
وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

وقول مستحسن ومستجاد كقول أعرابي:

لعمر أبيك الخير أني لخادم
لضيفي وأني إن ركبت لفارس

ومن خلال هذا رأينا أبا العباس قد اتخذ مسلك الباحث في الجمال اللغوي .. وهو ضرب من ضروب علم الجمال إذ استحسن واستجاد شيئين فقط التركيب اللفظي وانسجام المعنى على أن علم الجمال إنما هوفلسفة النقد .

وهوبذلك ابتدع أسلوبا جديدا في نظرته لتقييم العمل الأدبي إذ ربط بين انسجام المعنى مع اللفظ المختار ولم يتحدث عن الأ ثر الذي يخلفه مثل ذلك الترابط لأنه محسوس بالضرورة كما تصور فهدفه النهائي كما هوواضح هوالأ ثر الذي يخلفه العمل في عقل أو ذهن المتلقي لذلك العمل لكن الحديث عن الأ ثرفي زمن أبي العباس ليس مهما لأنه كان يخاطب اناسا بأعينهم هم الطبقة المثقفة الأساتذة في زمنه وطلاب العلم .

التشبيه :

وأعجب أبوالعباس بالتشبيه عند العرب وأفرد له بابا استهله ببيت امرىء القيس :

كأن قلوب الطـير رطبا و يابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقال عن هذا البيت مفهوم المعنى ثم ثني ببيت آخر لامرىء القيس هو:

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقال إن هذا من أعجب التمثيل ..

وثلث أيضا ببيت لامرىء القيس هو:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقال عنه لقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب معنى امرىء القيس ..

ومن هذا نرى أن أبا العباس اعتبر امرىء القيس اماما في التشبيه وأعجب به .. كذلك أعجب بالنابغة وقوله :

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله : خطاطيف حجن في حبال متينة
تمد بها أيد اليك نوازع

من هذا ندرك أن أبا العباس المبرد لم يكن عالما باللغة وأسرارها فقط ولكنه أراد أن يبين جمالها أيضا ، فالجمال اللغوي عنده له أصول حاول تتبعها وإبرازها . .

إن أبا العباس كان يدعونا في حقيقة الأمر إلى الغوص في أعماق العمل الشعري سواء كان في شكل بيت واحد من الشعر أو في شكل قصيدة متكاملة كان يقول لنا ضمنان ان العمل الشعري من أحد أسسه التركيب الجمالي إذ نحن لسنا أمام قواعد للجبر أو الحساب ولكننا أمام ظاهرة إنسانية تنبع من الأعماق ولابد أن ندركها من الأعماق .

وما قاله أبو العباس ضمنا قاله اناس آخرون بعد أكثر من ألف عام قاله الناقد (ليفيزاف . آر) الشعر دعوة للإحساس (راجع كتابه النقد الأدبي والفلسفة . . ص ٢١١) .

فكأن أبا العباس إذاً كان يدعو للإحساس بالشعر وإبراز الجوانب الجمالية فيه ليساعد على ذلك الإحساس أو ينميه لدى محبيه وصانعيه أيضا . .

إن نظرة كتلك لاشك أنها صادرة من إنسان أصبحت أبعاد إدراكه بعيدة الغور وأصبح فهمه للأشياء واسعا .





أبو العباس عبدالله بن المعتز
٢٤٧ - ٢٩٦ هـ

من هو أبوالعباس ؟

هو أبوالعباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون بن محمد المهدي بن أبي جعفر عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس..

كان شاعرا كاتبا موسيقارا ناقدا عدد له صاحب الأغاني تسع ألحان أجودها في نظره لحنه الذي غنى فيه :

زاحـــم كمــي كمـــه فالتو يــا
وافـــق قلبي قلبــــه فاستو يا
وطـالمـا ذاقـا الهـوى فـا كتـو يا
يـا قـرة الـعين و يـا همــي و يـا

وتعرض أبوالفرج الأصفهاني : للألحان القديمة التي حاول ابن المعتز تجديدها بالإضافة أو التعديل. أما كتبه فقد ألف العديد من الكتب منها كتاب السرقات وكتاب طبقات الشعراء وكتابه الجامع في الغناء وكتاب البديع وكتاب الآداب وغيرها.. ومن هذا الأخير توجد نسخة خطية في المتحف البريطاني وله غير هذه من الكتب..

أما شعره فقد ترجم بعضه إلى الألمانية ومازال بعضه متفرقا في مكتبات برين أما في البلاد العربية فقد أخرج له ديوان من جزئين أخذت من مخطوطات متفرقة في المكتبات العربية ذاتها..

ولقد اهتم النقاد القدامى بشعره وقرظوه ومنهم أبو العباس ثعلب وعبيد الله بن طاهر والنطاحة والصولي وأبوالفرج وابن النديم وابن رشيد والدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى وابن حجة في كتابه ثمرات الأ وراق وغيرهم كثير.. وأبو الفرج الأ صفهاني دافع دفاعا مجيدا عن شعر أبي العباس حين تعرض لذلك الشعر أقوام بالذم

فقال: ولكن أقواما أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة و يشيدوا بذكرهم الخامل و يعلو أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل فيهم (١).

وكأن أبا الفرج يرد في مقاله ذلك على كل الذين انتقدوا شعر ابن المعتز بالمساس به والإساءة إليه وأيا كان الأمر فإن الحيوية التي كانوا يعيشونها تنعكس لنا بصورة جلية واضحة.

علم الجمال:

إذا كان علم الجمال هو فلسفة الأدب والنقد معا.. فإن موضوع البديع عند العرب وهو أحد اللبنات في ذلك العلم الذي كان من أوائل رواده ابن المعتز فلقد أعطاه أبعاد جديدة لم يسبق إليها يقول هو ذاته. (وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليها أحد)(٢)، ولقد اختلفوا في تسمية هذا العلم من قبل إذ كانوا يسمونه اللطيف (راجع معاهد التنصيص للعباسي) و يعزون التسمية تلك إلى مسلم بن الوليد.

ألوان البديع:

حصر ابن المعتز البديع في خمسة أضرب سماها وهى: الاستعارة والتجنيس والمطابقة رد العجز على الصدر ثم المذهب الكلامي.

ولم يكن فهمه عن البديع قاصرا على تلك بل كان يدرك أن ألوان البديع أكثر من أن تحصى ولهذا أطلق على ماعدا الخمسة أضرب محاسن الكلام وذكر منها الالتفاف والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذم تجاهل العارف حسن التضمين التعريض الافراط في الصفة لزوم ما يلزم إلى آخر أنواع البديع التي لا تحصى ولا تعد.

كتاب البديع:

لا توجد في العالم كله إلا نسخة واحدة محفوظة في مكتبة الاسكوريال بمدريد تحت رقم ٢٢٨ آداب وقد قام بطباعتها المستشرق الروسي كراتشفوفسكي ثم توالت الطبعات ولعل من المصلحة في هذا الوجيز أن ننقل لوحات مصغرة عن ذلك الكتاب.

---

(١) الأغاني: ٣٧٣٩/ ١٠.

(٢) البديع لعبدالله بن المعتز: ١٠٦.

الاستعارة: تحدث أبوالعباس عبدالله بن المعتز عن الاستعارة قائلا: قال الله تعالى «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب» وقال «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» وقال «واشتعل الرأس شيبا» وقال «أو يأتيهم عذاب يوم عقيم».

ثم ضرب أمثلة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كقوله: «إنا لا نقبل زبد المشركين» وقوله «غلب عليكم داء الأمم الذين من قبلكم الحسد والبغضاء وهى الحالقة».

ثم ضرب أمثلة من كلام الخلفاء الراشدين والتابعين والمفكرين والحكماء والشعراء حتى عصره.

وهكذا سار على هذا المنهج في الجناس والطباق وفي كافة ألوان البديع التي تعرض لها.. موضحا بالأمثلة الحية ما هدف إليه..

نقد ابن المعتز:

يعتبر كتاب السرقات لابن المعتز من أهم المراجع التي كان يمكن أن تكون مصدرا لمعرفة نقد ابن المعتز إلا أن هذا الكتاب مفقود لم يعثر عليه حتى الآن لكن ما ورد من إشارات عن هذا الكتاب في كتب الأدب الأخرى يمكن أن تجعلنا نطلع جزئيا عليه.. فالآمدي في كتاب الموازنة أشار إلى ذلك الكتاب وأخذ عنه وصاحب الموشح ذكر لنا نقد ابن المعتز لامرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى أما الصولي فقد نقل عنه مباشرة قائلا في أخبار أبي تمام ص ٩٦:

«حدثني أبوالعباس عبدالله بن المعتز قال: جاءني محمد بن يزيد المبرد يوما فأفضنا في ذكر أبي تمام وسألته عنه وعن البحتري فقال لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعان طريفة لا يقول مثلها البحتري وهو صحيح الخاطر حسن الانتزاع وشعر البحتري أحسن استواء الخ».. وقال أيضا ص ٩٧ حدثني عبدالله بن المعتز قال كان ابراهيم بن المدبر يتعصب على أبي تمام ويحطه عن رتبته فلاحاني فيه فقلت له أتقول هذا لمن يقول:

غدا الشيب مختطا بفودي خطة
سبيل الردى منها إلى الموت مهيع

قال وأنشدته غير ذلك فكأني والله القمته حجرا(1) .. أما كتابه طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء فهو أكثر الكتب إبرازا لنقد ابن المعتز فقد ترجم فيه لأكثر من مائة وعشرين شاعرا بدءا ببشار بن البرد وانتهاءً بالناشيء وقد حاول في تلك الترجمات أن يعطي مفهوما واسعا عن اتجاهات كل شاعر و يقارن بينهم البعض و يعطي تفسيرا للمواقف .. كما كان يتحدث عن البيئة التي نشأ فيها الشاعر وكأنه بذلك يرسم منهجا لسانُت بيف وتين الناقدين الفرنسيين الذين سلكا نفس المنهج في دراستهما للأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي حين اهتما بالبيئة وأضافا إلى ذلك العرق وهو ما لم يأخذ به ابن المعتز وتوجد من هذا الكتاب نسخة في مكتبة الاسكوريال بمدريد تحت رقم ٢٧٩ أدب كما طبع في مصر..

أما رسالته في نقد أبي تمام فهي رسالة بين فيها كل ما كان يراه عيبا في شعر أبي تمام وقد نشر هذه الرسالة الدكتور عبدالمنعم خفاجى تحت اسم رسائل ابن المعتز وفي هذه الرسالة نقد مرير لأبي تمام وإظهار لعيوب شعره وسرقاته..

ولولا الاطالة في هذا الوجيز لأضفنا إلى هذه العجالة نماذج من نقد ابن المعتز توضح قدرته على التذوق الجمالي وعلو شأنه فيه.

---

(1) اخبار أبي تمام: ٩٨.

فهرس الموضوعات

إصدارات: تهامة للنشر والمكتبات

سلسلة: **الكتاب العربي السعودي**

صدر منها:

العنوان	المؤلف
الجبل الذي صار سهلا (نفد)	الأستاذ أحمد قنديل
من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
التنمية قضية (نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نفد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن الجفري
الدوامة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
غداً أنسى (قصة طويلة) (نفد)	الدكتورة أمل محمد شطا
موضوعات اقتصادية معاصرة	الدكتور علي بن طلال الجهني
أزمة الطاقة إلى أين؟	الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
إلى ابنتي شيرين	الأستاذ حمزة شحاتة
رفات عقل	الأستاذ حمزة شحاتة
شرح قصيدة البردة	الدكتور محمود حسن زيني
عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نفد)	الدكتورة مريم البغدادي
تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الرابعة)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
وقفة	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نفد)	الأستاذ أحمد السباعي
أفكار بلا زمن	الأستاذ عبدالله الحصين
كتاب في علم إدارة الأفراد (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
التنمية وجها لوجه	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
الحضارة تحد (نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
لحظة ضعف (قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
الرجولة عماد الخلق الفاضل	الأستاذ حمزة شحاتة
ثمرات قلم	الأستاذ محمد حسين زيدان
بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم)	الأستاذ محمد علي مغربي
النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
مكانك تحمدي	الأستاذ أحمد محمد جمال
قال وقلت	الأستاذ أحمد السباعي
نبض	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر

العنوان	المؤلف
● السعد وعد (مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
● قصص من سومرست موم (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
● عن هذا وذاك (الطبعة الثالثة)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
● الأصداف (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
● الأمثال الشعبية في مدن الحجاز (الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد السباعي
● أفكار تربوية	الدكتور ابراهيم عباس نتو
● فلسفة المجانين	الأستاذ سعد البواردي
● خدعتني بحبها (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله بوقس
● نقر العصافير (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
● التاريخ العربي وبدايته (الطبعة الثالثة)	الأستاذ أمين مدني
● المجاز بين اليمامة والحجاز (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بن خميس
● تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
● خواطر جريئة	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
● السنيورة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
● رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
● جسور إلى القمة (تراجم)	الأستاذ عزيز ضياء
● تأملات في دروب الحق والباطل	الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
● الحمى (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
● قضايا ومشكلات لغوية	الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
● ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	الأستاذ محمد علي مغربي
● زيد الخير	الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
● الشوق إليك (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
● كلمة ونصف	الأستاذ محمد حسين زيدان
● شيء من الحصاد	الأستاذ حامد حسن مطاوع
● أصداء قلم	الأستاذ محمود عارف
● قضايا سياسية معاصرة	الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
● نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي	الأستاذ بدر أحمد كريم
● الإعلام موقف	الدكتور محمود محمد سفر
● الجنس الناعم في ظل الإسلام	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
● ألحان مغترب (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذ طاهر زمخشري
● غرام ولّادة (مسرحية شعرية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
● سير وتراجم (الطبعة الثالثة)	الأستاذ عمر عبدالجبار
● الموزون والمخزون	الشيخ أبوتراب الظاهري
● لجام الأقلام	الشيخ أبوتراب الظاهري
● نقاد من الغرب	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
● حوار.. في الحزن الدافيء	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
● صحة الأسرة	الدكتور زهير أحمد السباعي
● سباعيات (الجزء الثاني)	الأستاذ أحمد السباعي
● خلافة أبي بكر الصديق	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
● البترول والمستقبل العربي (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
● إليها.. (ديوان شعر)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
● من حديث الكتب (ثلاثة أجزاء) (الطبعة الثانية)	الأستاذ محمد سعيد العامودي

- **أيامي** — الأستاذ أحمد السباعي
- **التعليم في المملكة العربية السعودية** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
- **أحاديث وقضايا إنسانية** — الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
- **البعث** (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي مغربي
- **شمعة ظمأى** (ديوان شعر) — الدكتور أسامة عبدالرحمن
- **الإسلام في نظر أعلام الغرب** (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- **حتى لا نفقد الذاكرة** — الأستاذ سعد البواردي
- **مدارسنا والتربية** (الطبعة الثالثة) — الأستاذ عبدالواهاب عبدالواسع
- **وحي الصحراء** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالله بلخير، الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
- **طيور الأبابيل** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- **قصص من تاغور** (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- **التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية** (الطبعة الثانية) — الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- **زوجتي وأنا** (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- **معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان** — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- **لن تلحد** — الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
- **عمر بن أبي ربيعة** (الطبعة الثانية) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- **رجالات الحجاز** (تراجم) — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- **حكاية جيلين** — الدكتور عبدالله حسين باسلامة
- **من أوراقي** — الأستاذ محمد سعيد العامودي
- **الإسلام في معترك الفكر** — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- **إليكم شباب الأمة** — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- **هكذا علمني وردزورث** — الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
- **في رأيي المتواضع** (الطبعة الثانية) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- **العالم إلى أين والعرب إلى أين ؟** — الدكتور بهاء بن حسين عزّي
- **البرق والبريد والهاتف وصلتها بالحب والأشواق والعواطف** — الأستاذ عبدالرحمن المعمر
- **محمد سعيد عبدالمقصود خوجة** (حياته وآثاره) — الدكتور محمد بن سعد بن حسين
- **جزء من حلم** — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن الجفري
- **ماما زبيدة** (مجموعة قصصية) — الأستاذ عزيز ضياء
- **إنتاجية مجتمع** — الدكتور محمود محمد سفر
- **خواطر مجنّحة** — الأستاذ محمد حسين زيدان
- **دروب الضياع** (ديوان شعر) — الأستاذ محمد الفهد العيسى
- **مغازلات ومعاكسات** — الأستاذ حمد الزيد
- **وجيز النقد عند العرب** — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي

تحت الطبع :

- **الطاقة نظرة شاملة** — الدكتور عبدالهادي طاهر
- **لا رقّ في القرآن** — الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
- **من مقالات عبدالله عبدالجبار** — الأستاذ عبدالله عبدالجبار
- **ديوان حسين عرب** — الأستاذ حسين عرب

- من ذكريات مسافر (الجزء الثاني) — الأستاذ محمد عمر توفيق
- أيام في الشرق الأقصى — الأستاذ علي حسن فدعق
- العقاد — الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
- الغربال.. نتاجه الفكري والأدبي (جمعه ونسّقه) — الدكتور عباس صالح طاشكندي
- سفينة الصحراء — الأستاذ عبدالعزيز المسند
- ذات ليلة — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- التنمية قضية (الطبعة الثانية) — الدكتور محمود محمد سفر
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (الطبعة الثانية) — الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- غداً أنسى (قصة طويلة) (الطبعة الثانية) — الدكتور أمل محمد شطا
- تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- الحضارة تحد (الطبعة الثانية) — الدكتور محمود محمد سفر
- الجبل الذي صار سهلا (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد قنديل
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد السباعي

سلسلة: الكتاب العربي اليمني

- تاريخ الأدب اليمني في العصر العباسي — الأستاذ أحمد محمد الشامي
- بغية المريد وأنس الفريد — الأستاذ عامر بن محمد بن عبدالله
  (تحقيق) الأستاذ محمد محمد الشعيبي
  (مراجعة وتعليق) الأستاذ أحمد محمد الشامي
- أطياف (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد محمد الشامي



صدر منها:

- سيدتي الحامل — الدكتور عبدالله حسين باسلامة

تحت الطبع:

- المطبخ السعودي — إعداد تهامة للنشر
- الأزياء في شعر عمر بن أبي ربيعة — الأستاذة طاهرة عبدالحفيظ السباعي
- أطفال لا يعرفون البكاء — الأستاذة فايزة عبداللطيف أورفلي

سلسلة : **الكتاب الجامعي**

صَدرمنها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة (الطبعة الثالثة) — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبدالمنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) (الطبعة الثانية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال (الطبعة الثانية) — الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- قراءات في مشكلات الطفولة (الطبعة الثانية) — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبدالرحمن فكري، الدكتور محمد عبدالهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية) — الدكتور أمين عبدالله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام (الطبعة الثانية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الوحدات النقدية المملوكية — الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم (الطبعة الثانية) — الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
- التجربة الأكاديمية لجامعة البترول والمعادن — الدكتور خضير سعود الخضير
- مبادىء الطرق الإحصائية — الدكتور جلال الصياد، الدكتور عبدالحميد محمد ربيع
- مبادىء الإحصاء — الدكتور جلال الصياد، الأستاذ عادل سمرة
- المنظمات الاقتصادية الدولية — الدكتور حسين عمر
- التعلّم الصفّي — الدكتور محمد زياد حمدان
- أحكام تصرفات السفيه في الشريعة الإسلامية — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- دراسات في الإعراب — الدكتور عبدالهادي الفضلي

- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار (باللغة الانجليزية) — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن الثالث عشر — الأستاذ محمد فهد عبدالله الفعر

تحت الطبع:

- التصنيع والتحضر في مدينة جدة — الأستاذة عواطف فيصل بياري
- تعليم اللغة الإنجليزية (باللغة الإنجليزية) — الأستاذ مأمون يوسف بنجر
- التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة — الأستاذة سارة حامد محمد العبادي
- تطبيق الطبولوجيا على أسس وبرامج التعليم في المملكة — الدكتور أحمد عصام الصفدي



صدر منها:

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — الدكتور محمود الشهابي
- التخلف الإملائي — الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية — إعداد إدارة النشر بتهامة
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي (باللغة الانجليزية) — إعداد إدارة النشر بتهامة
- تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية) — الدكتور حسن يوسف نصيف
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني — الشيخ أحمد بن عبدالله القاري
  (دراسة وتحقيق) — الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان، الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم — الأستاذ إبراهيم سرسيق
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية) — الدكتور عبدالله محمد الزيد
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية) — الدكتور زهير أحمد السباعي
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ السيد عبدالرؤوف
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام — الدكتور محمد أمين ساعاتي
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي — الدكتور عاطف فخري
- رعب على ضفاف بحيرة جنيف — الأستاذ شكيب الأموي
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي الشيخ
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية) — الأستاذ فؤاد عنقاوي
- مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي قدس
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟ — الدكتور اسماعيل الهلباوي
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
- القرآن وبناء الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي عبده بركات

● **الطب النفسي معناه وأبعاده**	الدكتور محمد محمد خليل
● **الزمن الذي مضى** (مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم
● **مجموعة الخضراء** (دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
● **خطوط وكلمات** (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ علي الخرجي
● **ديوان السلطانين**	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
● **الامكانات النووية للعرب وإسرائيل**	الدكتور صدقة يحيى مستعجل
● **رحلة الربيع**	الأستاذ فؤاد شاكر
● **وللخوف عيون** (مجموعة قصصية)	أحمد شريف الرفاعي
● **البحث عن بداية** (مجموعة قصصية)	الأستاذ جواد صيداوي
● **الوحدة الموضوعية في سورة يوسف**	الدكتور حسن محمد باجودة
● **المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذة منى غزال
● **من فكرة لفكرة** (الجزء الأول)	الأستاذ مصطفى أمين
● **رحلات وذكريات**	الأستاذ عبدالله حمد الحقيل
● **ذكريات لا تنسى**	الأستاذ محمد المجذوب
● **تاريخ طب الأطفال عند العرب**	الدكتور محمود الحاج قاسم
● **مشكلات بنات**	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
● **دراسة في نظام التخطيط في المملكة العربية السعودية**	الأستاذ يوسف ابراهيم سلوم
● **نفحات من طيبة** (ديوان شعر)	الأستاذ علي حافظ
● **الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية**	الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
● **الماء ومسيرة التنمية** (في المملكة العربية السعودية	الأستاذ مصطفى نوري عثمان
● **الدليل لكتابة البحوث الجامعية** (الطبعة الثالثة)	الدكتور عبدالوهاب ابراهيم أبوسليمان
● **القطار والحبل** (مجموعة قصصية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ السيد عبدالرؤوف
● **المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية**	الدكتور علي علي مصطفى صبح
● **مسائل شخصية**	الأستاذ مصطفى أمين
● **مجموعة النيل** (دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
● **عام ١٩٨٤ لجورج أورويل** (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
● **الزكاة في الميزان**	الدكتور محمد السعيد وهبة الأستاذ عبدالعزيز محمد رشيد جمجوم
● **من فكرة لفكرة** (الجزء الثاني)	الأستاذ مصطفى أمين
● **البسمات**	الدكتور حسن نصيف
● **مشكلات لغوية**	الدكتور شوقي النجار
● **مجموعة فاروق جويدة** (دواوين شعر)	الأستاذ فاروق جويدة
● **صور وأفكار**	الأستاذ عثمان حافظ
● **ديوان حمام** (ديوان شعر)	الأستاذ محمد مصطفى حمام
● **اتجاهات نفسية وتربوية**	الأستاذ فخري حسين عزّي الدكتور لطفي بركات أحمد
● **التليفزيون التجاري في الولايات المتحدة**	الأستاذ غازي زين عوض الله
● **العلاقات الدولية** (الطبعة الثانية) (ترجمة)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي

الكتاب	المؤلف
• الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث	الأستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي
• في بيتك طبيب	الدكتور محمد عبدالله القصيمي
• السبئيون وسد مأرب	الأستاذ محمود جلال

تحت الطبع :

الكتاب	المؤلف
• سرايا الإسلام	الشيخ أبوتراب الظاهري
• رحلة الأندلس	الدكتور حسين مؤنس
• فجر الأندلس	الدكتور حسين مؤنس
• قريش والإسلام	الدكتور حسين مؤنس
• الدفاع عن الثقافة	الدكتور عبدالعزيز شرف
• النظرية الخلقية عند ابن تيمية	الدكتور محمد عبدالله عفيفي
• الحجاز واليمن في العصر الأيوبي	الدكتور جميل حرب محمود حسين
• ملامح وأفكار	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• مغامرات بن فضلان	الأستاذ أحمد عبدالسلام البقالي
• دراسات في المدن السعودية	الدكتور السيد خالد المطري
• الأطماع الصهيونية في حوض الأردن	الدكتور السيد خالد المطري
• الجمل العربي	الدكتور أحمد محمد غندور الدكتور محمد الجوهري محمود
• الطريق إلى القمر	المهندس سعد أحمد شعبان
• صورة العربي في الصحف الأمريكية	الأستاذ غازي زين عوض الله

كتاب للأطفال

صدر منها :

مجموعة : حكايات للأطفال — ينقلها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء

- سعاد لا تعرف الساعة
- الحصان الذي فقد ذيله
- تورتة الفراولة
- ضيوف نار الزينة
- الضفدع العجوز والعنكبوت
- الكؤوس الفضية الاثنتا عشر
- سرحانة وعلبة الكبريت
- الجنيات تخرج من علب الهدايا
- السيارة السحرية
- كيف يستخدم الملح في صيد الطيور

تحت الطبع

- الأرنب الطائر
- معظم النار من مستصغر الشرر
- لبنى والفراشة
- ساطور حمدان
- وأدوا الأمانات إلى أهلها
- سوسن وظلها
- الهدية التي قدمها سمير
- أبو الحسن الصغير الذي كان جائعا
- الأم ياسمينة واللص

مجموعة : لكل حيوان قصة — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- القرد • الكلب • السلحفاة • الأسد • الحمار الأهلي • الفرس • الغزال • الوعل
- الضب • الغراب • الجمل • البغل • الفراشة • الدجاج • الحمار الوحشي • الجاموس
- الثعلب • الأرنب • الذئب • الفأر • الخروف • البط • الببغاء • الحمامة
- البوم • البجع • الهدهد • الكنغر • الخفاش • النعام • فرس النهر • التمساح
- الضفدع • الدب • الخرتيت

مجموعة : حكايات كليلة ودمنة — إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- عندما أصبح القرد نجارا
- الغراب يهزم الثعبان
- أسد غررت به أرنب
- المكاء التي خدعت السمكات

تحت الطبع

- لقد صدق الجمل
- الكلمة التي قتلت صاحبتها
- سمكة ضيعها الكسل
- قاض يحرق شجرة كاذبة

مجموعة : التربية الإسلامية — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- الله أكبر
- قد قامت الصلاة
- الصـــوم
- الصـــلاة
- الاستخارة
- صلاة الجنازة
- صلاة المسبوق
- صلاة الجمعة
- صلاة الكسوف والخسوف
- الشهادتان
- أركان الإسلام
- التيمم
- الوضـــوء
- الصدقات
- المسح على الخفين
- المسح على الجبيرة والعُصابة
- سجود التلاوة
- الزكاة
- زكاة الفطر
- زكاة النقدين
- زكاة بهيمة الأنعام
- زكاة العروض

قصص متنوعة :

- الصرصور والنملة — الأستاذ عمار بلغيث
- السمكات الثلاث — الأستاذ عمار بلغيث
- النخلة الطيبة — الأستاذ اسماعيل دياب
- الكتكوت المتشرد — الأستاذ عمار بلغيث
- المظهر الخادع — الأستاذ عمار بلغيث
- بطوط وكتكت — الأستاذ اسماعيل دياب
- نتيجة الطمع — الأستاذة رباب الدّباغ
- الدعوة الخفية — الأستاذة رباب الدّباغ
- الحارس الذكي — الأستاذة رباب الدّباغ

كتاب الناشئين

صَدرمنها :

مجموعة:وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة:حكايات ألف ليلة وليلة

- السندباد والبحر — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- الديك المغرور والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- جزيرة السعادة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الحديقة المهجورة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني — إعداد الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- عقبة بن نافع — الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي / الدكتور سعد اسماعيل شلبي

Books Published in English by TIHAMA

- **Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.**
  By: F.M. Zahran/A.M.R. Jamjoom/M.D. EED
- **Zaki Mubarak: A Critical Study.**
  By: Dr. Mahmud Al Shihabi
- **Summary of Saudi Arabian Third Five Year Development Plan.**
- **Education in Saudi Arabia, A Model With Difference.** *(Second Edition)*
  By: Dr. Abdulla Mohamed A. Zaid
- **The Health of the Family in A Changing Arabia. (*Third Edition*)**
  By: Dr. Zohair A. Sebai
- **Diseases of Ear, Nose and Throat.**
  By: Dr. Amin A. Siraj/Dr. Siraj A. Zakzouk
- **Shipping and Development in Saudi Arabia**
  By: Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- **Tihama Economic Directory.** *(Second Edition)*
- **Riyadh Citiguide.**
- **Banking and Investment in Saudi Arabia.**
- **A Guide to Hotels in Saudi Arabia.**
- **Who's Who in Saudi Arabia.** *(Second Edition)*
- **An Ethnographic Study of Al-Hasa Region of Eastern Saudi Arabia.**
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib.
- **The Role of Groundwater In The Irrigation And Drainage Of the Al-Hasa Of Eastern Saudi Arabia.**
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib
- **An Analysis Of The Effect Of Capitalizing Exploration And Development Costs In The Petroleum Industry — With Emphasis On Possible Economic Consequences In Saudi Arabia.**
  By: Mohiadin R. Tarabzune
- **An Evolving Typology Of Constructs Of Critical Thinking, Curriculum Planning And Decision Making In Teacher Education Programs Based On The Islamic Ideology.**
  The Case Of Saudi Arabia.
  By: Ahmad Issam Al-Safadi
- **The Effect Of A Listening Comprehension Component on Saudi Secondary Students' EFL Skills.**
  By: Mamoun Yousef Banjar

